



الصيد على النيل

[تصوير جمال عزام]

المقتطف

الجزء الاول من المجلد المائة والواحد

١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٦١

١ يونيو سنة ١٩٤٢

أوربا بين عهدين

موازنة تاريخية

الموازنات التاريخية كثيرة الزاقي ، اذا اريد بها استخراج احكام عامة من موازنة بين حادثين بعينهما ، أو بين رجلين من الأفاضل . فليس في الوسع ان نستخرج حكماً تاريخياً أو حربياً عامّاً ، من المقابلة بين زحف نبوليون على موسكو في شهر يونيو سنة ١٨١٢ ودخوله العاصمة الروسية في سبتمبر ، وبين زحف هتلر صوبها في يونيو كذلك من سنة ١٩٤١ وعجزه عن دخولها حتى الآن . ولكن اذا كان فريق من الكتّاب قد استسلم الى استخراج احكام عامة ، لا سند لها ، من هذه المقابلة ، فان ذلك لا يعني اننا لا نستطيع ان نحكي فائدة ما ، من المقابلة بين الأحوال العامة في العهدين — عهد نبوليون وعهدنا هذا . ففي الطب مثلاً ليست كل اصابة بالانفلونزا مماثلة تماماً لكل اصابة أخرى . وكما دعي طبيب لمعالجة حالة من هذا القبيل ، عليه ان يتذكر انها في ناحية ما مفردة ولا مثل لها . واذا أهمل ذلك فقد يخفق في مهمته . ولكن عليه ان يتذكر كذلك انها تشبه الحوادث الاخرى في كثير من النواحي العامة والاحكام التي تجري عليها جميعاً . ولولا ذلك لما كان ارتقاء علوم الطب مستطاعاً ، ولا خبرة الطبيب قيمة . فالطبيب يحكي من خبرته ومن خبرة من تقدم وتجاربيهم — أي من التاريخ — فائدة كبيرة . والواقع ان المهندسين والملاحين والفلاحين ، وغيرهم من رجال الاعمال ، يعملون ما يعملون استناداً الى ما يضح ان نسبة التشابهات

التاريخية historical uniformities فاذا عدوا هذه التشابهات احكاماً مطلقة وبنوا عملهم على ذلك ارتكبوا خطأ فاحشاً ، ولكنهم اذا نفوا وجودها اطلاقاً كان خطأهم أخش . وعلى ذلك فالموازنة — في نطاق هذا الموضوع — ليست بين حملة نابليون وبين حملة هتلر على روسيا ، ولا بين شخصي نابليون وهتلر ، بل هي موازنة بين الأحوال العامة والعوامل المتشابهة في تاريخ اوربا الاجتماعي ، في عهد نابليون وعهدنا هذا

نشبت حرب اوربية عامة (١٧٩٢ — ١٨١٥) بعد انقضاء ثلاث سنوات على قيام الثورة الفرنسية . وكان اشتراك فرنسا في الثورة الأميركية ضد بريطانيا قبيل ذلك ، قد رفع قليلاً من منزلة الطبقة الحاكمة في فرنسا ، إلا أن الفرنسيين كانوا قد هزموا هزيمة منكرة في حرب « المائة سنة » مع بريطانيا ، وفقدوا امبراطورية كبيرة في الهند وشمال اميركا الشمالية . وكانت حكومتهم مفلسة في سنة ١٧٨٩ وطبقات الشعب العامة تستنكرها وتنقم عليها . وكان زعماء الفكر فيهم ، قدمضوا جيلاً كاملاً وهم يدعون الى اصلاح منشأاتهم السياسية والاقتصادية والدينية ، أي انهم كانوا يدعون الى انقلاب عام ، أو ثورة اذا شئت . وما دعا لويس السادس عشر « المجلس العام » الى الانعقاد في سنة ١٧٨٩ حتى قبض على زمام هذا الاصلاح الثوري . وبعد فترة قصيرة من الوحدة ، عقد فيها الرجاء على بعث الأمة بعثاً جديداً ، بأساليب الاصلاح السلمي ، اتجهت الثورة الى العنف ، فأسقط البيت المال ، وانتقل السلطان رويداً الى الجماعات المتطرفة ، وتخلل انتقاله ، ما نشهده عادة ، من أعمال الارهاب في مثل هذه الأحوال . وفي اثناء « حكم الارهاب العيوني » كان الحكم في يد فئة قليلة ، حكمت بالقوة بعد ما ألغت جميع الحقوق المدنية . وما جاءت سنة ١٧٩٣ حتى كان الارهاب موجهاً الى اعداء الفئة الحاكمة في الداخل ، وإلى اعداء فرنسا في الخارج كذلك . فنشبت الحرب بين فرنسا والحلف النمساوي البروسي ، في ابريل ١٧٩٢ ، امتد نطاقها حتى أصبحت حرباً ضد « الحلف الاوربي الاول » وقد اشتركت فيه كل اوربا تقريباً ما عدا روسيا وتركيا ، ضد فرنسا الجمهورية . وكان الفرنسيون الذين دخلوا معمعة هذا النضال ، والحروب التي تلتها ، مسيرين بعاملين اولاً — الرغبة في تحرير الدول الاخرى من الاستبداد . وثانياً « فرنسية » هذه الدول ولو كان ذلك يقتضي ضمها الى فرنسا . ولم يكن بين رجال الثورة الفرنسية ، من يرى تناقضاً بين الغرضين ، لايمانهم بأن كل دولة تصبح جزءاً من النظام الفرنسي ، تكون دولة حرة وان هذا الطريق هو الطريق الوحيد الى الحرية لم يصب الفرنسيون نجاحاً في سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٣ في الحرب وهددت باريس نفسها .

ولكن تجريد الجيش الشعبي الكبير ، وادماج ضباط الجيش القديم في الجيش الحديث ، والاستعانة بالعلماء والمخترعين والمهندسين ، وظهور فريق من القواد النوابع — ولم يكن بونابرت إلا أحدهم وإن كان أعظمهم — أفضى إلى انقلاب ميزان القتال ورجحان كفة فرنسا. إلا أن هذا النجاح لم يكن مرده الأول والآخر إلى قوة فرنسا ، بل كان جانب كبير من مرده إلى ضعف خصومها ، وتمسكهم بأساليب الحرب القديمة ، واحتجامهم عن الاتحاد ضد الفرنسيين . والمؤرخون يعدون خمس محالفات أوربية انشئت لمقاومة فرنسا بين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨١٥. ولو حاول كاتب أن يضع في جدول واحد من الدول الأوربية كان مع فرنسا أو ضدها أو محايداً لكانت الصورة مضطربة وخرج من بحثه هذا بحقيقة واحدة وهي أن بريطانيا دون غيرها كانت ضد فرنسا خلال هذه المدّة كلها إذا استثنينا الفترة القصيرة التي أعقبت صلح اميان سنة ١٨٠٢ . والواقع أن المحالفة الكبرى ضد فرنسا لم تعقد وقوة أوربا لم تحشد تماماً إلا في سنة ١٨١٢ وبعدها

وما تقلد بونابرت منصب القنصل الأول سنة ١٧٩٩ وعزز مقامه وأيد طائفة كبيرة من الإصلاحات التي بدى فيها سنة ١٧٨٩، حتى كانت الجيوش الفرنسية قد اكتسحت البلاد الواطئة وغزت ألمانيا وإيطاليا. ثم أقام نابليون نفسه إمبراطوراً وسيداً لأوربا. وكان عندما بلغ أوجه قبل حملته على روسيا، قد أحدث في خارطة أوربا من التعديل ما يعث على الدهشة في قلب هذا النظام الجديد كانت فرنسا، بعد تنظيمها تنظيماً جديداً. وفرنسا هذه كانت تشمل بلجيكا وهولندا والساحل الألماني إلى هامبورج وشمال إيطاليا بما فيها تورينو وجنوى وبارما ومنطقتين أخريين وكان هو إمبراطورها. ثم كان هناك الممالك التابعة يحكمها أعضاء أسرة نابليون: — مملكة إيطاليا وهي تشمل مالم يضم إلى فرنسا من إيطاليا الشمالية والوسطى وكان نابليون يحكمها بواسطة نائب ملك هو ابن زوجته أوجين ده بوهارنيه. ومملكة نابولي يحكمها عديله مورا. ومملكة إسبانيا يحكمها شقيقه يوسف. واتحاد الرين وهو يشمل ألمانيا الغربية والوسطى وكان شقيقه جيروم ملكاً على وستفاليا فيها. ودوقية وارسو ولم يتح لها أمير من أسرة بونابرت. وكانت سويسرا مستقلة ولكنها في الواقع كانت تابعة. وبلي ذلك حلفاء فرنسا وهي النمسا وبروسيا — بعد تضيق نطاقها — والدول السكنديناوية. وأخيراً كانت روسيا مرتبطة بفرنسا بمعاهدة تلسيت. ولم يكن خارج هذا «النظام الفرنسي» في قارة أوربا إلا جزيرتا سردينية وصقلية يحميها الأسطول البريطاني، والبرتغال يحميها الجيش البريطاني الصغير بقيادة ولنتن

أما بريطانيا فكانت خارج هذا النظام، لم تنتظم فيه برضاها ولا أرغمت على الانتظام، مع أن نابليون حاول مرتين حشد جيش على ساحل المانش لأخضاعها. ولكنه بعد معركة الطرف

الأغر ابتعد شبح الغزو النبوليوني على الساحل البريطاني، ونبوليون نفسه انصرف عن طريقة الغزو الى طريقة حصر بريطانيا بمنع أوربا من الاتجار معها ، حتى تصاب باضطراب اقتصادي يفضي الى اذعانها . ولايحتمل انه قصد الى تجويعها ، فقد كانت تملك سيادة البحار، وارتقاء الصناعة فيها لم يكن قد بلغ مبلغاً يحوجها الى استيراد معظم طعامها من الخارج والفرنسيون لم يفوزوا بالسيطرة على القارة الأوروبية ، بفعل القوة الحربية المتفوقة لاغير بل كان لنبوليون أعوان في كل بلد . نعم إن الجماعات التي كانت ميالة الى التعاون مع فرنسا كانت أقلية ، ولكنها كانت في شمال ايطاليا وبلاد الرين أقلية كبيرة يحسب لها حساب . ويضاف الى هذا ان الحكم النبوليوني في الممالك التابعة ، أفضى الى اصلاحات غير يسيرة ، امتنعت جماهير الناس سدة ما . وفي سنواته الاخيرة ، اعتمد على جنود من الايطاليين والبولونيين والالمان وغيرهم . ومع ان الاعتماد عليهم كان غير تام ، إلا أنهم كانوا يصلحون لبعض الأغراض . غير ان ذلك لم يغنه عن الاعتماد على عدد وافر من الفرنسيين في ادارة البلدان التابعة لفرنسا وحفظ الأمن فيها ، وخاصة لأن بواد البرم لم تحتفر من بلديما ، وفي اسبانيا لم تقبض الادارة الفرنسية على ناصية الحال تماماً ، وقتاً ما

بدأت مغامرة نبوليون الاسبانية في سنة ١٨٠٧ ، « لحماية اسبانيا من الانكليز » . وبدأ انها أصابت نجاحاً عند ما توج يوسف بونابرت ملكاً في مدريد . ولكن ثورة الشعب الاسباني على الفرنسيين ، برغم سحقها بالقوة ، كانت الثورة الشعبية الاولى على السلطان الفرنسي في اوربا . وكانت المقاومة الاسبانية المستندة الى الجيش البريطاني — وهو لم يخرج من جنوب اوربا الغربي — فعالة في حمل نبوليون على الاحتفاظ بطائفة من صفوة جنده في اسبانيا وانهاك هذه الصفوة . فلما أتي القيصر اسكندر الروسي الاشتراك في الحصر الاوربي ضد التجارة البريطانية ، وبدأ نبوليون حملته على روسيا ومزقت أوصال جيشه الامبراطوري في الزحف والارتداد ، أشرف النظام الاوربي النبوليوني على نهايته ، إذ جمعت حكومات أوربا عزمها وحزمت أمرها على الاتحاد عليه . ولم يكن اتحادها هذا ميسراً ، لأن صيت نبوليون قد طبق الخافقين ، وكان يُعد قوة لا تقهر ، وكان لا بد حتى بعد عودته مقهوراً من روسيا ، من كل حذق السياسة البريطانيين ومنزلة القيصر اسكندر ودهاء مترنيخ ، للفوز بالشاء « الحلف الكبير » . وكانت النتيجة ما سجله التاريخ عن تقلص ظل السيطرة الفرنسية في أوربا وزول نبوليون عن العرش في فونتنبلو ونفيه الى جزيرة البا وعودته منها والفترة المعروفة باسم « فترة المائة يوم » ثم معركة واترلو

كل هذا يشبه كثيراً مما توالى علينا من الاحداث في بضع السنوات الاخيرة ولو شاء الباحث ، لوضع محل « اليعقوبيين » في الثورة الفرنسية « الحرب النازي » في المانيا ، ومحل

« شرطة الثورة » « كتائب الجستابو » ولوصف الجماعات الموالية لفرنسا في ايطاليا ومانيا بالطابور الخامس او جماعة كوزلنج ، ونظام نبوليون بالنظام الجديد ، ولقال ان صلح اميان في ١٨٠٢ كاتفاق ميونخ سنة ١٩٣٨ أملتهما الرغبة في ممالاة نبوليون وهتلر ولكن هذا قليل الجدوى ولا حاجة بنا اليه . فهتلر كنبوليون ، توسل بالقوة العظيمة المنطلقة من حركة ثورية ، لغزو معظم القارة الاوربية . وكلاهما واجه مشكلة عظيمة نواتها تنظيم فتوحاتهما في دولة كبيرة تعلو على الدول القومية التي غزبت ، لترسيخ اقدام الغزاة وتمكين تحكمهم . وقد أخفق نبوليون في اخضاع بلد عظيم واحد ، هو بريطانيا ، وأخفق كذلك في انشاء تلك الدولة الاوربية الخاضعة للسيطرة الفرنسية . فاذا مضت الموازنة بين الرجلين الى نتيجة منطقية ، فهتلر سيخفق كذلك على طول المدى . وقد استغرقت المدة اللازمة لظهور اخفاق نبوليون ربع قرن من الزمان . فهل في عهدنا عوامل طرأت على الاجتماع الاوربي ، من شأنها ان تبطل الموازنة التامة بين مصير نبوليون ومصير هتلر ؟

قبل سنة ونصف سنة من الزمان بدا المتبعي الحال ، ان هتلر قد يتمكن من غزو بريطانيا فيقضي على القوة الحربية الاوربية الاخيرة التي اعترضت سبيل نبوليون ، وظلت تعترض سبيله . واذا كان ذلك لم يتم فيجب ألا نستسلم الى ان المحاولة لا تجدد وان كان احتمال نجاحها الآن بعيداً . وما فتئت تلك المنطقة الضيقة من المياه التي حالت دون تحقيق حلم نبوليون ، تعترض سبيل هتلر . وحرب هتلر على الملاحه البريطانية الآن اشد خطراً من حرب نبوليون ، لأن بريطانيا اكثر اعتماداً على ما تستورده من مواد الطعام . ولكن معركة « المحيط الاطلسي » سائرة بوجه عام في مصلحة بريطانيا مع ان خسارة الملاحه في بحار الارض ليست مما يستخف به . ويجب ان نضيف الى ان هتلر يجد في الولايات المتحدة الآن خصماً كبيراً قوياً ، لم يتعين على نبوليون ان يواجهه . واذا كانت الولايات المتحدة غير متأهبة تأهباً يذكر عند ما فرضت عليها الحرب في ديسمبر الماضي ، فكذلك كانت بريطانيا غير متأهبة لحرب البر في سنة ١٧٩٩ — ١٨١٤ . وعلى كل حال فجميع الاحصاءات والانباء تدل على ان اميركا تسير سيراً حثيثاً في ميدان التاهب الحربي والانتاج الحربي الصناعي

وهناك عامل آخر . ففريق من الكتاب ، يرى ان الفرق الكبير بين عهد نبوليون وعهد هتلر ، هو ان التقدم في صناعة الآلات الحربية الحديثة يمكن فئة قليلة من الجنود المحتلة المسلحة بطائرات ودبابات ورشاشات ، من ان تبقي الشعوب المغلوبة على أمرها خاضعة لها ، فلا تتكرر الآن في فرنسا او غيرها من البلدان المغزوة ، ثورة أسبانيا أيام نبوليون . وقاتل العصابات في بعض هذه البلدان مهما يتجلى فيه من ضروب البسالة والوطنية ، عاجز عن اكرام الالمان المسلحين ، على ارضاء قبضتهم ، ما دام السلاح الحديث وصناعته وفقاً عليهم

ولاريب في ان مقاومة من نوع مقاومة الأسبان لنبوليون ، قد تكون شاقة في هذه الأيام . فمن المتعذر مثلاً ان توزّع الدبابات على الثوار سرّاً ، كما كانت توزّع البنادقات وسائر الاسلحة الصغيرة . ولكن ، يجب ان نذكر انه لولا تأييد الجيوش النظامية للمقاومة السلبية في أسبانيا في أيام نبوليون لما أجدت المقاومة الشعبية في قهر نبوليون . والجيوش النظامية ، كانت حينئذٍ جيوش ولنغتن في شبه الجزيرة الايبيرية . وثورة الشعوب المغلوبة في عهد نبوليون ، لم تشب شبوباً قوياً فعلاً إلا بعد عودة نبوليون من روسيا هزيماً . أما الآن فان الروس يحاربون ببسالة عجيبة ، وبراعة فائقة ، وثقة راسخة ، وبريطانيا وأميركا تمدانهم بالمعدات علاوة على ما يصنعونه هم في معاملهم . وجيش هتلر أصيب ، مادياً ومعنوياً مع انه لا يزال جيشاً قوياً . واذا تمكن الحلفاء من سيادة جو أوربا الغربية بطائراتهم ، فالجيش الذي يقابل جيش ولنغتن ، يستطيع ان ينشئ له قواعد على البر الأوربي ، وعندئذٍ فقد تماثل الاحوال ، على الأرجح . ويجب ألا ننسى ان نشوء الصناعة الحديثة ، وتعقيدها ، واعتماد الجيوش عليها اعتماداً دقيقاً ، يجعل هذه الصناعة وتلك الجيوش عرضة لخسارة فادحة عن طريق تخريب يسير في مواقع حيوية ، وهذا التخريب قد يتم عن طريق المدنيين في البلدان المحتلة ، أو عن طريق المغيرات القاذفة والالمان بشر بوجه عام ، وهم معرضون للتأثر بعوامل الصداقة والحب والتراخي والملل ، في البلدان التي يحمونها او يحرسونها . واذا كان اعتماد الالمان في هذه الحراسة على القتوين المتحمسين من شبابهم الهتلري ، فمن يتقلد زمام الحكم في المانيا نفسها اذا وزعت النخبة التي يعتمد عليها في طول القارة وعرضها ؟ حتى اذا كان في الوسع توزيع النخبة ، فهل تغيرت البواعث الأصلية في طبيعتهم تغيراً يمكنهم من ان يمتنعوا زمناً طويلاً عن الحب والشهوة والصداقة وغيرها من العوامل التي أضعفت الحاميات الأجنبية في جميع البلدان في العصور السابقة ؟ ففي العصر الاغريقي القديم ، كان أبناء سبارطة ، قد دربوا تدريباً طويلاً دقيقاً يفوق في طوله ودقته تدريب الشباب الهتلري ، على حساب الواجب والامر الصادر اليهم من الرؤساء فوق كل شعور أو عاطفة . ومع ذلك فان الحامية السبارطية في ثيبة ضعفت حالتها المعنوية بعد بضع سنوات ، فوقع ضحية لمؤامرة دبرها وطينو ثيبة وطردت من المدينة . واذا كانت الاسلحة الحديثة أفتك من الاسلحة القديمة ، وهي وقف على الحامية على الاكثر في العصر الحديث ، فان الطبيعة البشرية لم تتغير بواعثها الأصلية كثيراً خلال التي سنة من الزمان ثم عامل ثالث . يقال ان رجال النازي يملكون أداة لم تكن متاحة لنبوليون ، فتمكنهم من الاحتفاظ بسلطانهم على الأمم المغلوبة . وهي أداة «الدعاوة» . فالاسلحة الحديثة في أيديهم تقضي على الثورة عليهم . والدعاوة الحديثة في أيديهم تقضي على مشيئة الثورة .

وقد قيل في هذا المعنى سخف كثير . فمن سنة أو تزيد كان هناك من يزعم أن الألمان هم زعماء « ثورة الجماهير » في أوروبا ، وأن الجماهير في كل أمة أوروبية يستعدون للترحيب بهم لأنهم يرون فيهم منقادهم من النظام القديم ، وأن جميع العادات والتقاليد والمثل الاجتماعية والثقافية القومية قد أصبحت من مخلفات الماضي . ومع ذلك نجد أن مشيئة مقاومة النازي يشتد ساعدها ويتسع نطاقها يوماً بيوماً من بلاد زوج إلى يوغسلافيا ومن فرنسا إلى بولونيا . وهذه المشيئة قومية لا ريب في ذلك . والدعوة سلاح ذو حدين ، للنازي أحدها لا غير . ومهما يفعل النازي فانهم حيال فرنسا أو غيرها أعجز مما كان نبليون حيال البروسيين . بل لا ريب في أن دعوة الفرنسيين القائمة على مبادئ الثورة الفرنسية الكبرى ومبادئ الحرية والمساواة والاخاء كانت أفعال جذاً من كل ما يقوله جوبلز . بل أن فعال الألمان في تشكيا وبولونيا وسربيا وفرنسا وحتى في ايطاليا ، أبلغ من كل ما يقولون . ومهما تكثر الاحاديث فهؤلاء القوم لا يمكن أن يرضوا عن النظام الألماني الجديد

من الجائز أن يتمكن الألمان في بضع السنوات المقبلة ، من استئصال شأفة المقاومة في البلدان المحتلة ، بممارسة تجويع الجماهير واعداد الزعماء والفكرين وما أشبه من أساليب القسوة والإفناء . ولكن البشر قادرون في اشد الاحوال مشقة وقتاماً على أن يقاوموا مقاومة قد لا يتصورها العقل ، لأنها نابعة من أعماق الفطرة وغيرة البقاء . وإذا استخرجنا من علم الطب استعارة قلنا أن سم المرض النازي إما أن يميت الشعوب ، وإما أن يدفعها رويداً رويداً إلى توليد حصانة ضده . وإذا صدقت عبر التاريخ السابقة ، ملنا إلى القول بأن الثاني أدنى إلى التحقيق

قال روشنج أن هتلر لا يستطيع أن يقف عند حدٍّ ما ، وأن شهوة العظمة فيه ستدفعه إلى المضي في طريق الفتح إلى أن يصاب الألمان بالاعياء . وقد يكون هذا الحكم صائباً . فنبليون ، لم يقف حتماً عند حد قبل فوات الأوان . ولكن حتى إذا توقف هتلر وخلفاؤه عند حد فتوحاتهم الحالية وحاولوا أن ينشئوا من هذه البلدان دولة كبرى ، لما كان نجاحهم محتملاً . فالحكم على طول المدى يقوم على « القبول والعادة » . والقبول غير محتمل ، والعادة لا تفرخ كالقطر ، بل ترَبَّى وترسخ زمنًا طويلاً ويجب أن تكون تربيتها في احوال يرضى عنها الحكومون . ولا يبدو أن بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا ستتيح لألمانيا فرصة لتربية شعوب أوروبا على عادة التسليم بالنظام الجديد . وما لا ريب فيه أن روسيا وبريطانيا لم تتبحا لنبليون مثل هذه الفرصة مع أن سلطانه ظل قائماً مدى خمس عشرة سنة (١)

(١) ملخص واف لفصل انشاء كراين رنتن استاذ التاريخ في جامعة هارفرد وصدر به عدد يناير من مجلة « الشؤون الدولية » وقد كتب قبل دخول الولايات المتحدة الحرب ولذلك تصرّفنا في عبارتين منه وفقاً لما حدث أخيراً

تنظيم البحث العلمي

وأثره في تطور المجتمع



للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
عميد كلية العلوم

العلم رائد

— ١ —

سيداتي سادتي : يروى عن السير إيزاك نيوتن أنه سئل كيف اهتدى الى الكشف عن قوانين الجاذبية فكان جوابه بإعمال الفكر . فالسير إيزاك نيوتن الذي وصل الى معرفة نواميس حركات النكواب ووجد قوانين الحركة بين الاجرام الأرضية والاجرام السماوية يعزو عمله الى الفكر . أردت ان أبدأ حديثي اليكم بهذه الحكاية القصيرة لأنني سأتكلم عن التفكير البشري وسأخصه بالبحث والتحليل وسأبين ما له من شأن كبير في حياتنا العلمية والعملية

فمنذ نحو ثلاثة عشر عاماً اجتمع لقيف منا في حجرة متواضعة وفكروا في انشاء هذا المجمع . وكان الغرض الذي يرمون اليه ان يكون عندنا أداة تشبه ما عند غيرنا لانشاء الصلة بين العلم والمجتمع ، بين العالم في معمله والرجل العادي في حياته . وكنا جميعاً نعرف ان انشاء هذه الصلة أمر ضروري لا محيص عنه اذا أريد خير بالعلم في مصر والمجتمع . كنا نعلم ذلك عن طريق المشاهدة لما هو حادث في البلاد المتمدينة وكنا نعلمه أيضاً عن طريق التفكير المنطقي البسيط . واذكر ان أحدنا ولعله الاستاذ فؤاد صرُوف أشار في خطبة له في اول اجتماع لهذا المجمع الى ان الاحتمال الوحيد ، اذا نحن لم نصل بين العلم والمجتمع انما هو الرجوع الى عصر السحر والطلاسم ، الى العصر الذي كان فيه رجال الدين في مصر القديمة يخلصون أنفسهم بالعلم ويتخذون منه وسيلة للسيطرة على العامة من الناس ويتناسون فيه قوة خفية تلقي الرعب في نفوس الجماهير وتخضعهم لارادة السادة من رجال الكهنوت

وقد شاعت الظروف ان يؤلف هذا المجمع وان يستقر أمره وان يعقد اجتماعات سنوية وأخرى شهرية مدة ثلثة عشر عاماً . واذا نحن استعرضنا مجموعة الابحاث التي أُلقيت

فيه ، وجدناها تتصل جميعاً بالفرض الأساسي الذي أنشئ المجتمع من أجله . فالعلم يبسط حتى يصير في متناول القارئ ، العادي والتفكير يتجه نحو المسائل التي ترتبط بحياتنا العلمية والفنية ، والبحث ينصبُّ على الشؤون الحيوية التي تؤدي الى رفعة المجتمع وقوته ورفاهيته ومن الاغراض التي نرمي اليها في اجتماعاتنا ونحرص عليها الحرص كله تبادل الرأي فيما يثار من مسائل . فالخطيب او المحاضر يلقي علينا نتائج تفكيره وما اهتدى اليه في بحثه ثم يحدث تفاعل بين تفكير الفرد وتفكير الجماعة يؤدي في الغالب الى تقدم وكسب حقيقي في حلِّ الأمور التي يعرض لها . هذا التفاعل بين تفكير الفرد وتفكير الجماعة هو في نظري العامل الحقيقي على تقدم العلم والمجتمع . واذا نحن رجعنا الى تاريخ الحركة العلمية في أوروبا فاننا نجد ان هذا العامل كان له أكبر شأن في تقدم العلوم . فالمجامع العلمية في عواصم أوروبا انما أنشئت بغية هذا التعاون الفكري بين الفرد والمجموع . ففي انكلترا مثلاً نشأ مجتمعهم العلمي وهو الذي يسمى الجمعية الملكية باجتماع بعض المفكرين بغرض تبادل الرأي في المسائل العلمية . ففي عام ١٦٤٥ اجتمع نفرٌ من المشتغلين بالمسائل العلمية في انكلترا في غرفة احدهم وهو «الدكتور ولكنز» الامتاذ بجامعة اكسفورد ، بغية التحدث في الفلسفة الجديدة او الفلسفة الطبيعية كما كانت تسمى في ذلك العصر او بعبارة اخرى في المسائل العلمية كما نسميها اليوم . هذه الفلسفة الجديدة او الفلسفة الطبيعية كانت تنحصر في شيء واحد وهو امكن الوصول الى المعرفة عن طريق المشاهدة المباشرة . وربما ظهر لنا اليوم ان هذا أمرٌ بديهي . ولكن علينا ان نتذكر ما كان للكنيسة في ذلك العصر من سيطرة على التفكير ومن سلطة على الجامعات . فجامعة اكسفورد كانت موجودة وجامعة كمبرج كذلك ، وكان لكل منهما مقام معلوم . وكان قد مضى على إنشاء كل منهما ما يقرب من خمسة قرون . وكان الاساتذة يتولون إلقاء الدروس ويمنحون «الدكتوراهات» وينشرون المؤلفات ولم يكن ذلك قاصراً على انكلترا وحدها بل ان الجامعات كانت قائمة في انحاء القارة الاوربية في باريس وفيينا وبالرمو وعدد آخر كثير من المدن والعواصم . ومع هذا كله رأى الدكتور ولكنز وزملاؤه ان يجتمعوا في حجرة الخاصة لكي يتبادلوا الرأي في الفلسفة التجريبية . وكلنا يعلم ما أدى اليه هذا الاجتماع المتواضع من انشاء الجمعية الملكية عام ١٦٦٠ واعتراف (شارل الثاني) ومملك انكلترا بعده بها ، وكيف ان السير ايزاك نيوتون اشترك في عضوية هذه الجمعية وألقى عليها بحوثه في قوانين الجاذبية وفي غيرها من نواحي العلم وكيف انه انتخب رئيساً لها وبقي في الرأسة بقية حياته . وكلنا يعلم ايضاً كيف عمل هذا المجمع العلمي في انكلترا وعملت المجامع العلمية المشابهة له في انحاء العالم على تقدم العلوم ونصرتها ورفعة شأنها

- ٢ -

من ذلك ترون أن تقدم العلم انما جاء عن طريق البحث والتفكير كما ترون ايضاً ان هذا البحث وان كان ينسب في العادة الى الافراد كأن ينسب القول بالتطور الى داروين او ان ينسب الكشف عن عنصر الراديوم الى كوري، أقول وان كان ينسب الى الافراد، الا انه في الواقع نتيجة لتفكير الجماعة . فلولاء الكشوف التي سبقت عصر داروين في علم الحيوان وفي علم النبات لما قال داروين بالتطور . بل لولا ما كان يحيط بداروين من تفكير منظم في عصره لما استطاع أن يعمل ما عمله وان يضيف ما أضافه الى التفكير البشري . كذلك لولا بحوث بكرل ومن سبقه من علماء الطبيعة ، بل وعلماء الكيمياء ولولا التعاون الفكري الذي كان يحيط بهما كوري وزوجها لما استطاعا ان يفسرا اسوداد ألواحهما الحساسة بنسبته الى شعاع خفي من عنصر جديد . فتنظيم البحث والتفكير اذن شرط من شروط تقدم العلم ولعل هذا الشرط هو العامل الاول في ازدياد الانتاج العلمي في العصر الحديث

كيف يكون اذن هذا التنظيم ؟ قبل أن أجيب عن هذا السؤال سأستعرض حالة البحث العلمي في البلاد المتقدمة ثم احاول ان اطبق ذلك على مجتمعنا المصري وان استرشد به فيما يجب علينا ان نصنعه في مصر مع مراعاة ما يحيط بنا من احوال خاصة وما بيننا وبين غيرنا من فروق ومخالفات

لننظر اذن الى بلد من البلاد المتقدمة التي تنهض بنصيبها في البحوث العلمية نجد انه في كل حالة تنقسم البحوث الى نوعين رئيسيين . بحوث في العلم البحت وبحوث في العلوم التطبيقية ويجدر بي ان أسجل هنا الفرق بين هذين النوعين من البحوث اذ كثيراً ما يختلط امرها حتى على المتعلمين منا

فالبحت العلمي البحت غرضه الوصول الى المعرفة أو الاضافة الى علم البشر . هو بحث يراد به الكشف عن أسرار الطبيعة على حد التعبير العادي . فنحن نعلم اشياء ونجهل اشياء . فن بحث عن المجهول وأدخله في دائرة العلوم كان بحثه بحثاً علمياً بحتاً . وأظن هذا المعنى قد صار واضحاً في غير حاجة الى اسهاب

أما البحوث التطبيقية فلها غرض آخر ليس هو الوصول الى المعرفة وانما هو الوصول الى القدرة فنحن نقدر على أشياء ولا نقدر على غيرها . فمن ممكننا من عمل ما لم نكن نقدر عليه من قبل فقد بحث بحثاً تطبيقياً ناجحاً . ولا ضرب لذلك مثلاً : في النصف الثاني من القرن الماضي قام هاينريش هيرتز ببحوث في علم الطبيعة برهن بها على وجود أشعة كهربائية تنتقل في

الفضاء فاهتم العالم العلمي بكشفه هذا . وكان أهم ما يعنى به العالم العلمي في هذا الوقت من أمر هذه الاشعة ان جاءت محققة لآراء كلارك مكسويل فيما يجب ان تكون عليه المعادلات الرياضية التي تربط بين الكهرباء والمغناطيسية . كانت معادلات كلارك مكسويل متفقة مع علم البشر عن خواص الكهرباء وارتباطها بالقوى المغناطيسية . فلما جاء كشف هيرتز عن أشعته الكهربائية تم تحقيق معادلات مكسويل وصار من الممكن لعلماء الطبيعة ان يخبرونا بقوانين الكهرباء وارتباطها بالقوى المغناطيسية . ولذلك عُدَّت أبحاث هيرتز هامة في تقدم العلوم ومُنِحَ الألقاب الفخرية والجوائز والمداليات على عمله . أرجو ان تلاحظوا ان هؤلاء العلماء الذين أعجبوا بعمل هيرتز وقدروه حق قدره انما دفعهم الى ذلك شغفهم بالمعرفة وتعلقهم بالكشف عن أسرار الطبيعة . كما أرجو ان تلاحظوا ان قيمة العمل الذي قام به هيرتز في نظر هؤلاء العلماء انما كانت بالنسبة الى ما لهذا العمل من أثر في تقدم العلم . ثم حدث بعد ذلك ان تنبه المشتغلون بالبحوث التطبيقية الى ما لعمل هيرتز من شأنٍ من وجهة نظرهم اذ رأوا فيه وسيلة تمكنهم من شيء لم يكونوا يقدرون عليه ألا وهو التراسل اللاسلكي . فاذا كان هيرتز قد كشف عن وجود أشعة كهربائية تنتقل في الفضاء ولا تحتاج الى سلك او وسيلة مادية لنقلها فلماذا لا تستخدم هذه الاشعة في التراسل فيتمكن بذلك البشر من ارسال تلغرافاتهم دون الحاجة الى مد أسلاك فوق الارض او تحت الماء . انكم ترون ان هذا التفكير يختلف تمام الاختلاف في غرضه عن تفكير علماء الطبيعة الذين شغفوا بعمل هيرتز حباً في العلم ورغبة في المعرفة . وقد حدث كما تعلمون ان قام مهندسون ومخترعون ، بالبحث التطبيقي في التراسل اللاسلكي اشتهر من بينهم ماركوني بمثابرته واتساع حيلته . ولعل في هذا المثال ما يكفي لتوضيح الفرق بين البحوث العلمية البحتة والبحوث العلمية التطبيقية

اذن فنحن أمام نوعين من البحث العلمي يختلفان في الغرض ومع ذلك فبينهما اتصال وثيق والعلاقة بينهما بصفة عامة هي العلاقة بين الأصل والفرع . فالبحوث العلمية البحتة هي الأساس والبحوث التطبيقية مبنية عليها . ولا يمكن تصور البحث التطبيقي الا على أساس من العلم الأكاديمي . على ان العلاقة بين النوعين من البحث ليست بسيطة الى هذا الحد . فتقدم البحث التطبيقي يؤدي الى تقدم الصناعات المختلفة وتقدم الصناعات يضع في يد العالم الباحث أجهزة أدق وأحكم تساعد في الكشف عن أسرار الطبيعة . وبذلك يرد العلم التطبيقي الى العلم البحت شيئاً من حسن صنيعه

تنشأ اذن مسألتان أو بالأحرى ثلاث مسائل : —

أولاً — كيف ينظم البحث العلمي البحت

ثانياً — كيف ينظم البحث العلمي التطبيقي أو الصناعي
ثالثاً — كيف تنظم العلاقة بين هذين النوعين من البحوث

— ٣ —

ففي المسألة الأولى نجد أن البحوث العلمية البحتة في البلاد المتقدمة يتولاها في العادة رجال الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة فالأساتذة والمدرسون وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العلمية العالية يقوم كل منهم ببحوثه الخاصة متعاوناً في ذلك مع غيره من المشتغلين في فرعهِ والاستاذ في الجامعة يشعر أن أول واجب عليه متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباتهِ الأخرى كلقاء الدروس وتنظيم الدراسات وما إليها. وجميع أساتذة الجامعات أعضاء في الجامع والجمعيات العلمية المختلفة كل في دائرة تخصصه . ولا يقتصر الأستاذ على متابعة أبحاثهِ الخاصة بل عليه أن يكون ملهماً لغيره ممن هم دونه في المرتبة العلمية ومشرفاً على بحوثهم ومرشداً لهم . ولذلك لا يصل الأستاذ الى كرسي الاستاذية إلا بعد أن يثبت قدرته على البحث العلمي المبتكر وعلى ارشاد غيره فيه . فأعضاء هيئة التدريس في كل فرع من فروع العلم يؤلفون أسرة رئيسها الأستاذ صاحب الكرسي ، تعمل كوحدة متماسكة في ميدان البحث العلمي يسترشد صغيرها بكبيرها ويتعاون الجميع على البحث والابتكار والأهم المتحضرة تتسابق في ميدان المعرفة وتتنافس تنافساً شديداً . فالجامعات والجامع العلمية في أنحاء المعمورة في جدد متواصل تبحث وتنقب وتتنقب وتتنقب وتتنقب والنشرات التي تخصص لهذه البحوث تعد بالآلاف في كل عام . هذه المجلات يطالع عليها العلماء والباحثون ويسجلون فيها نتائج تجاربهم وآراءهم العلمية لا فرق في ذلك بين أميركي وياباني أو بين انكليزي وفرنسي فهي في منزلة مؤتمراً دائماً للعلوم يوحد بين وجهات النظر ويمحص الآراء ويعمل على تقدم العلم . وانما تقاس الجهود العلمية لامة ما ، بمقدار ما تنتج في هذا الميدان فهو عنوان حياتها العلمية ومعياري رقيها الفكري . هذه المجلات التي تحتوي خلاصة التفكير العلمي لا يقرأها الرجل العادي في الغالب ولا يعرف بوجودها وان هو قرأها فانه لا يكاد يفقهها لاحتوائها على رموز ومصطلحات ليس لها مفهوم في ذهنه . ويحدث في بعض الاحيان أن تنشر الجرائد اليومية خبر منح جائزة نوبل الى فلان من العلماء فاذا قرأنا مثل هذا الخبر فان معناه ان أعمال هذا العالم المنشورة في هذه المجلات قد وصلت الى الحد الذي يجعل صاحبها في مصاف المبرزين من العلماء . ويحدث كذلك ان نسمع باسم عالم او باحث مقترناً برأي ينسب اليه كأن نسمع باسم اينشتين مثلاً مقترناً بالنظرية النسبية فاذا حدث ذلك فان معناه ان الابحاث التي نشرها هذا

العالم في هذه المجالات والآراء التي أدلى بها قد وصلت الى الحد الذي يجعل صاحبها قائداً من قواد التفكير العلمي وان الرأي المنسوب اليه قد صار رأياً يعتد به بين العلماء . ولعل هذين المثالين هما مبلغ ما يصل الى علم الرجل العادي عن حركة التقدم العلمي وليس معنى هذا ان نهر المعرفة يجري في الظلام او ان العلم قد أصبح نوعاً من السحر أو الطلاسـم الخفية مقصوداً على طائفة معينة من المجتمع كما كان في عصر المصريين القدماء بالشكل الذي اشرت اليه في اول حديثي بل بالعكس ان من أميز مميزات هذا النوع من البحث العلمي اباحته لكل قادر ونشر نتائجه نشرًا حرًا بعيداً عن كل رقابة وبغير ان يكون للناسـر او المؤلف حق ما من حقوق النشر والتأليف فهو عمل يقصد به وجه العلم ولا ترجى من ورائه أية فائدة الا التنافس المشروع بين العلماء . ولما كان البحث العلمي البحث لا يقصد به فائدة مادية مباشرة ما، كان من الواجب على كل أمة ان تشجع كل ذي موهبة على متابعة اجرائه وان تهـيء للباحثين أسباب الاطمئنان وتيسر لهم عيشهم لكي يتفرغوا لبحوثهم . وكما ان العرف قد جرى بيننا على ان يقوم اخيرون منا بوقف أموالهم على أعمال البر المختلفة كانشاء الملاجئ والمدارس والمستشفيات كذلك جرى العرف عند غيرنا من الأمم المتحضرة على ان يقف موسروهم أموالهم على البحث العلمي فنجد في كل جامعة وفي كل جمعية علمية أموالاً مخصصة للبحث العلمي وصلت اليها عن طريق الهبات والتبرعات. ولا يقتصر الامر عند حد ما يوجد به الافراد من مال بل ان الحكومات تخصص في ميزانياتها مبالغ ضخمة للصرف على البحوث العلمية البحتة فتصرف المكافآت الدراسية التي هي نوع من المرتبات الى النابغين من خريجي الجامعات لكي ينصرفوا الى البحث العلمي كما تشتري الاجهزة العلمية وتبنى المعامل وتجهز للبحث العلمي من هذه الأموال ولعلكم تذكرون اسم كارنيجي الاميركي الموطن الاسكتلندي الاصل صاحب الملايين الذي أوصى بملايين الدولارات للبحث العلمي في سائر أنحاء العالم كما تذكرون اسم نوبل السويدي الذي أوصى بجوائزه المشهورة كمكافآت على البحث العلمي الممتاز وغير هذين كثيرين وتبلغ الاموال التي تخصصها الدولة في انكلترا وحدها ملايين الجنيهات توضع تحت تصرف الجامعات والمعاجم العلمية لتصرفها في تشجيع البحث العلمي

هذا هو الحال إذن في الدول المتقدمة . جامعات تعمل وجمعيات علمية تنظم وتشرف ومجلات علمية تطبع وتنشر وأموال تخصصها الدولة ويهبها الافراد لتصرف

ولعلكم يكون من المفيد ان أشير الى الطريقة التي تتبع في تنظيم صرف هذه الأموال ففي انكلترا مثلاً يتولى مجلس ادارة الجمعية الملكية الاشراف على هذا الصرف فاذا اراد باحث تخصيص معونة مالية فممكنه من اداء بحنه قدم طلبه بذلك الى الجمعية الملكية فيذهب بها

الادارة هذه الطلبات جميعها والبت فيها في ضوء التوصيات التي تصل اليه من العلماء المعروفين وفي ضوء الخبرة الشخصية لأعضاء المجلس . وفي أميركا هيئة عليا تسمى مجلس الابحاث الوطني يعهد اليها في تنظيم الصرف على البحوث العلمية والنظر في الطلبات التي تقدم اليه . وفي فرنسا قبل الحرب الحالية خصت وكالة وزارة بالبحث العلمي وجعلت لها ميزانية تصرف منها على تشجيع البحوث واعانتها . وفي كل بلد من البلاد المتمدينة الاخرى توجد وسيلة قومية حكومية أو غير حكومية لتنظيم الصرف على البحوث العلمية ويجب ان نذكر أن هذه البالغ التي تخصص للبحث العلمي هي غير ما تخصصه الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة . فالجامعات ما فتئت المقر الرئيسي للبحوث العلمية وهي تنفق على هذه البحوث من أموالها الخاصة ومن الهبات والتبرعات والاعانات الحكومية

— ٤ —

هذا هو الحال اذن في الامم المتحضرة ولنا ان نستخلص منه دروساً ننتفع بها في تنظيم حياتنا العلمية . فمن ناحية يجب علينا ان نعى بالبحث العلمي في الجامعة التي انشأناها وفي كل جامعة اخرى نقوم بالانشاء . يجب علينا ان نذكر أن مقام الجامعة بين جامعات العالم لا يكون بعظمة مبانيها ولا بكثرة طلبتها ولا بضخامة ميزانيتها . وانما تقاس رفعة الجامعة وعلو شأنها بمقدار ما تنتجه من البحوث العلمية فهذه هي التي تنشر على الملأ بين العلماء وهي التي تبقى على مرّ العصور . يجب اذن ان نحصر كل الحرص على انتقاء اساتذة الجامعة من بين الذين برهنوا على مقدرتهم على البحث العلمي وشغفهم به وارشاد غيرهم فيه ويجب ان نسارع الى تشجيع الباحثين منا بكل ما تملك الدولة من وسائل مادية وأدبية . يجب ان يشعر كل مشغل في ميدان البحث العلمي ان عمله مقدور مشكور وان ميدان هذا العمل هو الميدان الوحيد للتنافس بينه وبين غيره من الباحثين وعلى اولى الامر منا ان يعنوا اشد العناية بهذه الناحية من نواحي الحياة الجامعية وان يضعوا هذا الاعتبار فوق كل اعتبار آخر وألا يجاروا بعض قصيري النظر ممن يقيسون عمل الجامعة وحاجتها بعدد الطلبة وعدد الدروس التي تلقى عليهم . ومن ناحية اخرى يجب ان نسارع الى انشاء مجمع علمي يتصل اتصالاً وثيقاً بحياة علمائنا وبأحسينا ويكون له من المقام العلمي ما لغيره من مجامع الأمم المتحضرة . وفي رأيي ان انشاء هذا المجمع امر لا مفر منه اذا اردنا للبحث العلمي في مصر نمواً واطراداً . واختيار اعضاء هذا المجمع عمل من أهم الاعمال وأبعدها أثراً في مستقبل حياتنا العلمية فالجاه والمنصب والنفوذ الشخصي جميعها أمور محلية يجب أن لا نقيم لها وزناً

في اختيار اعضاء المجمع . والشئ الوحيد الذي يجب ان يدخل في حسابنا هو المقام العلمي المبني على الانتاج المتكرر في ميدان البحث العلمي . ومن ناحية ثالثة يجب علينا ان نعتي بنشر البحوث العلمية التي يقوم بها اساتذة الجامعة وسائر المشتغلين بالبحث والابتكار . فالكثير منا يكسفي اليوم بنشر ابحاثه في المجلات الاجنبية لما لهذه المجلات من مكانة معترف بها ولو جمع ما ينشر في كل سنة من بحوث المصريين والمقيمين في مصر في هذه المجلات الاجنبية ، ووضع بين دفتين لكفى لخراج مجلة بل لعله يكفي لخراج مجلات متعددة

وفي رأيي انه قد ان الأوان لتنظيم اصدار مجلة او عدة مجلات علمية في مصر واذا أنشئ المجمع الذي أشرت اليه فان البحوث التي تلقى فيه منتشر بطبيعة الحال في مجلة دورية . وتصدر بعض الهيئات العلمية في مصر اليوم مجلات دورية . او نشرات متسلسلة تدون فيها بحوثها العلمية . وفي البلاد الأخرى تعرض البحوث عادة على محكمين متخصصين يقومون بفحصها وتقرير صلاحيتها او رفضها ولا يضير المجلة أو الهيئة العلمية ان يكون المحكمون خارجين عنها فالبحث العلمي اليوم قد وصل الى درجة عالية من التخصص الضيق بحيث لا يوجد في العالم كله إلا نفر قليل يستطيع كل منهم ان يحكم على مستوى بحث معين ونحن اذا سلكنا هذا السبيل فلن يضيرنا الالتجاء الى محكمين من غير المقيمين في مصر كلما وجدنا ضرورة لذلك لكي نحفظ بمستوى عال لمجلاتنا العلمية . وستكون اللغات التي تنشر بها الابحاث هي اللغات العلمية الاربع المعترف بها في المؤتمرات الدولية ولكن واجبنا نحو اللغة العربية ونحو أنفسنا يقضي علينا بنشر تراجم او ملخصات عربية لكل ما ينشره

فاذا نحن قننا بالشاء جمع علمي على النحو الذي ذكرته ونظمتنا نشر البحوث بالطريقة التي وصفتها فان على الدولة ان تقوم بتخصيص المال اللازم لتشجيع البحوث والانفاق عليها وعلى رجال العلم ان يطالبوا الدولة بذلك لأنهم أبصر من غيرهم بضرورته وفائدته

« .. ان علماءنا ومستنطينا أغلى ممتلكاتنا القومية . كل مبلغ من المال ، »

« مهما يعظم ، ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال المتصفين بالقدرة على الابداع »

« وبالتفاني والمشاركة على ترقية الفكر العلمي اننا لا نستطيع ان »

« نقوم ما عملوه لترقية العلوم بكل ربح البنوك في جميع انحاء المعمورة ... »

[هربرت هوفر ، رئيس الولايات المتحدة السابق]

قطرات ندى

لـ راجي الراعي

- * البحر كآس من الماء اذا شرب هرقل ..
- * الرمال شرر الصحراء يتطاير من لهيب قلبها المشتعل ..
- * البصر بعض البصيرة او هو أداتها ..
- * اليوم بيت من الشعر في ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة
وعجزه ما تلاها ، والغروب هو القافية ..
- * الغصن الذي يحمل الثمرة اليانعة يدٌ تشير الى الخبرة والحنكة
- * كلما قطعوا الاوتارَ حميتُ قلبي بيدي ..
- * الأمثال دنائير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس
- * الرماد نار شابت !
- * الأرض تفرج كربها بالبراكين ..
- * الموجة شهوة البحر
- * الرماد ثورة سكنت او جنون صحا أو جريمة ندمت أو فجورٌ تاب ..
- * ان للبحر اسراراً يهمسها في آذان لآلئه المتواضعة وأصدافه الهادئة
الأمينة لأنه يثق بها أكثر مما يثق بموجته الطائشة المزبدة الحمقاء ..
- * الصدور ألواح العرش الذي يتربع عليه الموت ..

العلم والادب والاساطير

في كتب السلف^(١)

للامير مصطفى الشهابي
وزير المعارف السورية سابقاً



لا يجهل أحد ان أجدادنا العرب قد خلفوا لنا تراثاً علمياً وأدبياً ضخماً ، وان معظم ما ولدته قرائح السلف من الكنوز الثمينة قد طوته الايام في طياتها ، وغيبته في مجاهلها ، ففقد واندر ولم يبق منه سوى أسماء مصنفات يقرأها المرء في تراجم المؤلفين . ولكن الجدل العاثر لم يقوَ على اتلاف جميع هذه المصنفات ، بل لبث منها جملة صالحة مبثوثة في دور الكتب العامة والخاصة في الشرق والغرب كدار الكتب المصرية في القاهرة ودار الكتب الظاهرية في دمشق ودور كتب ليدن وبرلين والاسكوريال ولندن وباريس وغيرها كثير ومن المعروف ان علماء العرب والاسلام كانوا إبان مدنيتهم الزاهرة حلقة مهمة من حلقات تاريخ العلوم البشرية . ولهذا اذا أنعمنا النظر في مخلفاتهم ألقيناها تتضمن خلاصة علوم الاجيال القديمة ، أي زبدة ما ولدته قرائح الأمم التي درجت قبل العرب في القرون الأولى ، مع اضافات جليلة أضافها علماء العرب اليها في مختلف العلوم ، ولا سيما فيما له صلة بالعلوم الاسلامية وعلوم اللغة وفنون الادب العربي

ولا ينكر أحد فضل المستشرقين علينا فيما نشره من تلك الكتب في القرن الماضي وفي القرن الحاضر ، بعد ضبط موادها وتمحيصها وفهرستها وضبط كثير من كلماتها بالشكل الكامل وطبعها على ورق صقيل بأحرف جميلة وبرزها للناس بحلل قشبية . ولا ينكر أحد أيضاً فضل مطبعة بولاق الأميرية ، ودار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر فيما نشرته وتنشره من الكتب القديمة والحديثة

والذي حداني على كتابة هذا المقال وقوع نظري على بعض كتب قديمة نشرها الناشرون حديثاً دون أن يتساءلوا هل في نشرها فائدة أو لا ، فالكتب القديمة ليست كلها مفيدة ، بل يمكن القول بأن بعضها مضر ولا يجوز ان يقرأه الناس في أيامنا هذه . وليس في قولي هذا غرابة ، وإقامة الدليل عليه من أبسط الأمور . وما علينا الا ان نلقي نظرة على أنواع العلوم التي صنف فيها أسلافنا العاملون فتتجلى لنا هذه الحقيقة بأجلى مظاهرها

(١) محاضرة ألقيت في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق وخص المتعطف بنشرها

﴿ علوم السلف ﴾ يمكن قسمة علوم السلف (من حيث بحثنا هذا) ستة أقسام وهي :
أولاً — علوم الدين . ثانياً — علوم اللغة . ثالثاً — آداب اللغة . رابعاً — ضروب الفلسفة
خامساً — العلوم المادية . سادساً — العلوم الاجتماعية

فالعلوم الدينية من فقه وحديث وعقائد وغيرها لا نتعرض لذكرها ، لأن لها في الازهر
وغير الازهر علماء أعلاماً هم أدري منا بحقائق ما صنفه أسلافهم فيها ، وبما يفيد او لا يفيد
نشره من تلك المصنفات . ولا بد لكل شخص يلم الماماً بالكتب المذكورة من ان يدهش
للجهود الكبيرة المضنية التي جعلتهم يطلعون علينا بهذا التراث العظيم . لكن الكتب
القديمة للعلوم الدينية خضم واسع الارزاء يضل فيه أمثالي ويتمنون ان يقرأوا بدلاً منها
كتباً دينية حديثة مبسطة حسنة الترتيب والتبويب خالية من الحشو والتطويل ، يستفيد منها
غير المعممين قبل المعممين . ولو صنف علماء اليوم كتباً كهذه وجعلوا الكتب القديمة
للاختصاصيين من علماء الدين دون غيرهم ، لأفادوا جمهور المتأدين فوائد كبيرة

أما كتب اللغة التي صنفها الأجداد فلا غنى لنا عنها ريثما نصنف ما هو أجود منها في
هذا الزمان الذي اتسعت فيه المعارف البشرية حتى ضاقت معجماتنا عنها كل الضيق . فالقاموس
المحيط واللسان والصاحح والمختص والتاج وأساس البلاغة وأمثالها كلها اليوم ضرورية .
وقد خدم ناشرها لساننا العربي خدمة جلى . ولا بد من الاحتفاظ بها ونسخها المشذبة أي
المعاجم الحديثة كحيط المحيط وأقرب الموارد والمنجد والبستان وأضرابها . ولكن جميع
هذه المعاجم لا تصلح في الحقيقة لزماننا هذا لان فيها من العيوب والنقائص ما لا يعد ولا يحصى
وحسبك منها ان معظمها ورد فيها من الأسماء والمصطلحات لم يُعرّف تعريفاً علمياً (١) .
ولست أدري متى يصبح عندنا معجم عربي (كمعجم لاروس الصغير مثلاً) ضبطت فيه معاني
الالفاظ ضبطاً علمياً ؟ ومتى يكون لنا معجم فرنجي عربي يشتمل على أجود الكلم العربية
او المعربة للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ؟ ولست أدري من هم عشرات العلماء الذين
يستطيعون صنع هذين المعجمين على ان يعمل كل منهم في نطاق اختصاصه ؟ ومهما يكن من
أمر فلا بد لنا قبل تحقيق هذه البغية من الاستعانة بالمعاجم القديمة والحديثة ، ومن الترحيب
بما يطبع من أبحاث اللغة كالأفصاح الذي اختصرت فيه ألتاظ المختص ، وكرسائل الثعالبي
التي كانت طبعت في مطبعة بيروت للاباء اليسوعيين ، وكأدب الكاتب لابن قتيبة الذي طبعه
الكتاب الألمعي السيد محب الدين الخطيب ، وكرسالة الكرم التي نشرها الاستاذ اللغوي
سليم الجندي في مجلة الجمع العلمي العربي الخ

(١) انظر مقال في عيوب المعاجم العربية في عدد تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٤٠ من المقتطف

وأما آلات اللغة وأخص منها الصرف والنحو فكتبها القديمة هي النبع الذي يستقي منه كل أديب متمكن من لسانه . ولا سبيل الى نكران الثمرات التي يجنيها المتأدبون من تلاوة كتاب سيبويه ومغني اللبيب وشرح الشافية وأمثالها . ولكن من ذا الذي ينكر ان قواعد لغتنا العربية تحتاج الى تبسيط ، وان الانكباب على كتب الصرف والنحو القديمة يعدُّ من الأمور المضنية ، وان طلاب الادب يرجحون تلاوة الكتب المدرسية الحديثة لسهولة فهمها .

ومع هذا لا بدَّ لنا من الاحتفاظ بالكتب القديمة ليرجع اليها أساتذة اللغة وعلمائها

﴿ كتب الادب القديمة ﴾ هي في نظري من أعظم مخلفات الأجداد شأنًا ، ومن أشدها تأثيراً في كياننا القومي . فهي التي تعلمنا بيان لغتنا وتعابيرها ومصطلحاتها ، وهي التي تطلعنا على جانب من مندية أجدادنا وعلى كثير من عاداتهم وأخلاقهم وسيرهم وحكمهم وأمثالهم ومعيشتهم ، سواء في ذلك المتبدون أم المتحضرون منهم . وأرى أنه لا يمكن ان تقوم قائمة لشعب من الشعوب في عصر القوميات هذا ، اذا أهمل تراث لغته الأدبي . ولهذا وجب ان نهم بكتب أدبنا القديم لا لما فيها من فوائد بيانية حسب ، بل لما حوته من شئون قومية يستفيد منها كل عربي صميم ، دع الذين عروبتهم من قوارير . ويتضح من ذلك ان العمل على نشر أمهات كتب الادب يعد من الأمور الحيوية للغتنا ولقوميتنا جميعاً . ولا تقدر الفوائد التي نحصل عليها من مثل طبع الكامل والامالي والبيان والتبيين والأغاني والعقد الفريد ونشوار المحاضرة ودواوين خول الشعراء وتراجم كبار الأدباء . ولا يقل شأنًا عن ذلك جمع أمثال العرب وحكمهم وقصصهم كما فعل مصنف كتاب (قصص العرب) المطبوع في مصر حديثاً

واذا دعوت الى ضرورة طبع كتب الادب القديمة والى ابرازها على المتأدين بجلل قشبية ، والى اقبال شبابنا المثقفين عليها ، فليست أنكر ان الادب العربي كائن حي يجب ان يتطور مع الزمن كسائر الأحياء ، وأنه يجب ان يكون لنا أدب جديد يتناول من شئوننا الحاضرة ما تناوله الادب القديم من شئون آبائنا الأولين . فأنا اذن لا أقول بوجود أدب قديم وأدب جديد ، بل بوجود ادب عربي واحد حي نام يتطور مع الزمن بأساليبه وصوره وعلى شبابنا المثقفين ان يتزودوا بالسائق من هذا الادب قديمه وحديثه . فمن القديم يتعلمون ملكة البيان في دقائق التعبيرات والمصطلحات ، ومن الجديد يتعلمون اساليب الغربيين او قل أساليب المتأخرين في الانشاء الواضح والافكار المتسلسلة

وفي الادب القديم يعيشون بخيالهم في مجتمعات الاجداد ويتعلمون محبتهم . وفي الادب الجديد يجدون صور مواطنهم وغير مواطنهم من الأجيال الحاضرة ، وصور البيئات التي يعيشون فيها . ويتضح من ذلك ان في قديم الادب العربي وحديثه اموراً ينبغي لكل متأدب الاطلاع عليها على السواء . ومن خطئ الرأي بل من التجني على لغتنا وعلى قوميتنا

القول بأن الأدب العربي القديم لا يصلح لهذا الزمان ، وأنه يجب ان تقطع صلتنا به . ومن خطل الرأي أيضاً بل من التجني على لغة الضاد الاكتفاء بأساليب الأدب القديم والاعراض عن اساليب عصرنا الحاضر . فاللغة العربية يجب ان تظل حية نامية . ولا يتيسر لها ذلك الا اذا صور أدباؤنا المحدثون بيئتنا الحاضرة بأساليب الغربيين وبيان الأدب القديم واشراقه **(العلوم المادية)** هي بيت القصيد في هذا المقال . وقد حفزني الى كتابته اقدام بعض الجماعات على نشر مخطوطات عربية قديمة في علوم طبية وزراعية لا تصلح لزماننا هذا ومن المعلوم ان العرب القدماء قد اشتغلوا كثيراً بالعلوم الرياضية والطبية والزراعية كما اشتغلوا بالكيمياء والنبات والحيوان وغيرها . فالعلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ومثلثات وفلك لا يغير الزمان قواعدها ونظرياتها المضبوطة . ولا يكون اثنان واثنان الا اربعة سواء أفي الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل . ولا ضير اذن في نشر ما امكن نشره من مخلفات الأجداد في هذه الموضوعات الرياضية ، ولا سيما اذا تمشى ترتيبها وتبويبها مع مقتضيات عصرنا الحاضر

اما العلوم الزراعية فقد تبدلت عما كانت عليه في القديم تبديلاً كلياً . فنذراً أوائل القرن التاسع عشر كشف العالم السويسري (سوسور) حقائق عظيمة الشأن في الفسيولوجية النباتية من الوجهة الكيميائية ، ثم وضع لينغ Liebig الألماني وبوسنغلط Boussingault الفرنسي أصول الكيمياء الزراعية وكيفية اغتذاء النبات بالعناصر الغذائية ولا سيما بالاملاح المعدنية . ثم كشف باستور عن الميكروبات وعلل حصول الاختار . ثم فحص العلماء تركيب الاسمدة والاتربة والغلات والثمار ، واستنبطوا اصناف الزروع والشجر وسلالات عديدة من الحيوانات الالهية ، واخترعوا الآلات الزراعية ، ودرسوا طبائع الحشرات والمكروبات وامراض النبات الخ الخ

وهكذا أصبحت الزراعة الحديثة قائمة على ادق الأسس العلمية . ولم تبق أية صلة تذكر بين قليل ما كان يعرفه الاقدمون في شئون الزراعة العملية وبين العلوم الزراعية الواسعة في ايامنا هذه . ويتضح من ذلك انه لا فائدة من نشر المخطوطات الزراعية القديمة ، بل في نشرها ضرر لما حوته من الخرافات والاساطير التي ينمو العقل عنها . ولا يخطر في بال اوروبي تلاوة كتاب زراعي الف قبل القرن التاسع عشر لعله بان الزراعة قد تطورت تطوراً كبيراً في القرن الماضي وفي القرن الحاضر

وهكذا الحال في الطب . فاليونان والعرب فضل كبير في هذا الباب . ولكن أين طب الايام السالفة ، من العلوم الطبية الواسعة في هذه الايام ؟ وأين تشريح الماضي من تشريح اليوم ؟ وأين المداواة بالعقاقير من المداواة بالادوية الحديثة ؟ وأين الجهل بالمكروبات

من معرفة حياتها وعملها في جسم الانسان وأين وأين؟ لقد تقدمت العلوم الطبية تقدماً لا مجال معه للبحث عن الطب القديم ولا عن كتبه القديمة. والطبيب الذي يقتصر في مداواة على هذه الكتب يُسمى اليوم دجالاً ويعاقب بالسجن في شرائعنا وشرائع البلاد الاوربية على السواء اما الكيمياء فقد قلبت رأساً على عقب . ويكاد هذا العلم ان يكون اليوم غير الكيمياء القديمة بناتاً . فأين تلك الاعمال التي كانوا يأتونها في التنقيش عن الذهب او بغية طبخ العقاقير النباتية، من أنواع الكيمياء المعدنية والعضوية والتحليلية في العصر الحاضر، وأين الاجسام القليلة التي عرفوها أو أوجدوها ، من العناصر التي كشف عنها اليوم ، ومن ألوف المركبات الكيميائية التي تستعمل في الطب والزراعة والصناعات المختلفة ؟

وهكذا أمر النبات . فاليونان ثم العرب قد عرفوا كثيراً من النباتات التي تنتجها الطبيعة، وحلوا تحلية حسنة ، أي وصفوا صفاتها الخارجية وصفاً في بعضه كثير من الدقة . ولبعض العشائين من العرب شهرة علمية كالغافقي وابن الصوري وابن البيطار . وللأطباء والعلماء المشهورين أبحاث جليلة في مفردات الادوية كالرازي وابن سينا وابن ماسه وعبد اللطيف البغدادي والبيروني والادريسي وغيرهم . وتعد مفردات ابن البيطار من أجل المؤلفات النباتية في تلك الأيام

ولكن كل ذلك لا يعد صالحاً ليوم الناس هذا . فعلماء القرون الوسطى كانوا يجهلون المجهر اي يجهلون الخلية ودقائق اعضاء النبات ونسجه، وكانوا يجهلون كيفية تغذي النبات ، والمواد المعدنية التي يتغذى بها، والاعمال الكيميائية التي تحصل في حياته وفي نموه . ولهذا لم يكن لهم معرفة بالتصنيف الحديث ولا بالفسيولوجيا ولا بالتشريح الداخلي ولا بعلم حياة النبات، ولا بالأسس العلمية التي يقوم عليها علم إصلاح النسل، وكل ما عرفوه من هذه العلوم العويصة امور سطحية كانوا يشاهدونها في شكل النبات الخارجي وتجارب بسيطة كانوا يجربونها في حياته وفي خواصه . وكثيراً ما كان يختلط عليهم الصحيح بغير الصحيح

ولم تكن معرفة الأقدمين بعلم الحيوان تزيد على معرفتهم بعلم النبات الا فيما له اتصال وثيق بهم كالخليل والابل مثلاً فان معرفتهم بها كانت واسعة كعرفتهم بالنخل من النبات . والدليل على ذلك الالفاظ العديدة التي نراها في معاجمنا لتلك المواليد ، مما ليس له مثيل في اي لغة ما لغات العالم على ما اعتقد . ولكن هذه المعرفة لا تتعدى الظواهر والرئيات والملاحظات التي يلاحظها المرء في طويل اتصالة بتلك الحيوانات : اما الاسس العلمية التي يقوم عليها علم الحيوان فقد كانوا يجهلونهم لأمثالها في علم النبات . وهذه الاسس هي وليدة النهضة الاوربية الحديثة ولا نجد منها شيئاً يذكر في كتاب الحيوان للجاحظ ولا في حياة الحيوان للدميمري وعرف الأقدمون شيئاً من أبحاث علم الفيزياء (علم الطبيعة ، علم الطبيعيات) كبعض

أبحاث الصوت والضوء والسائلات . ولكنهم جهلوا بعض نظرياتها الأساسية كما جهلوا ببحث الكهرباء العظيم برمته . ولم يكن لديهم بعض آلات الضوء الحديثة ولا آلات الكهرباء العديدة المعروفة ولا آلات الجويات (كموازين الحرارة والجو والمطر وسرعة الرياح) الخ . وفي الحقيقة لقد تقدم علم الفيزياء تقدماً مذهباً . ولم يبق أي اتصال يذكر بين عهد مبادئه البسيطة في القديم ، وعهد الكهرباء وتحطيم الذريرة أي الجوهر الفردي في العهد الحديث .

ويتضح من هذا البحث الجمل أن العلوم المتعلقة بالطب والزراعة والنبات والحيوان والطبيعة قد تقدمت في النهضة الحديثة تقدماً واسعاً جداً ، وأن مؤلفات الأقدمين في هذه العلوم لا تصلح لزماننا هذا ، وأن الاكتفاء بها معناه الرجوع إلى القرون الوسطى أو إلى القرون الأولى . ومع هذا لا تخلو هذه الكتب من فوائد . وأهم فوائدها كونها تهدي المؤلفين إلى عدد لا يستهان به من الألفاظ والمصطلحات العلمية مما يجب اقتباسه واستعماله في الكتب الجديدة . ومن فوائدها كونها تحسب حلقة من حلقات تاريخ العلوم البشرية . ولهذا قد يستفيد العالم من تلاوتها إذ يقايس بين محتوياتها ومحتويات الكتب العصرية . ولكن الطلاب والمتأدبين لا يجوز أن يضيعوا وقتهم بقراءتها ، فإن فائدتهم منها لا تذكر إذا قيست بالفوائد التي يجنونها من تلاوة الكتب الحديثة .

كتب الفلسفة والاجتماع ❦ ضل من ظن أن العقل البشري قد تقدم في أبحاث ما وراء الطبيعة خطوة واحدة منذ أيام أرسطو حتى يومنا هذا . فنحن ما زلنا نجعل حقائق هذا الكون العجيب ، وما برحنا نتخبط في تلمس أسرارهِ وفي استقصاء أحاجيه . ولم تبدل تلك الأسئلة التي يتساءل الإنسان عنها وهي : هل للكون حدود في الفضاء أم لا . وهل له بداية أم هو أزلي . وما هي الطبيعة ، وهل هي تسير بذاتها أم لها علة تسيّرُها . وهذه العلة هل هي مادة أو عقل أو شيء لا يمكننا إدراكه . ثم ماهي ماهية الإنسان ومن أين أتى وإلى أين يذهب . وهل العالم مخير أم مسير بجزرية لا تنزحزح . وهل أمام العالم رقي أم هو يدور أبدئاً على حاله . وما الحركة العامة للكائنات ، وما الحكمة فيها . وهل القواعد الخلقية شريعة بشرية واجتماعية فحسب ، أم لها أساس في الطبيعة كلها الخ .

هذه أمور ما برح عقل الإنسان تأملاً في بيدها ، وكل فيلسوف في القديم والحديث يبحثها على ما يراه . ويقول العلماء بوجوب تركها لأنها لا يمكن إدراكها . ولهذا وجب على رأي العلماء ، الاكتفاء بكلمة لا أدري والكف عن مناقشة ما لا يمكن بثه بالوسائل العلمية . ولكن الحقائق العلمية ليست كل شيء في هذه الحياة . ولا بد لدماع الإنسان من أن يتطلع إلى معرفة ما يهيمه من هذا الكون ولا سيما ما يتعلق منه بمصيره ولا شك أن فلاسفة اليوم قد ارتقت مداركهم وتصوراتهم عن قبل ، كما ارتقت العلوم

نفسها فصارت تعالج بوسائل يقينية غير الوسائل القديمة . ولكن في فلسفة اليونان وفلسفة العرب أبحاثاً طلية تصلح لزماننا هذا صلاحها للزمان الذي ألفت فيه . ولبعض فلاسفة العرب محاكات عقلية دقيقة تدل على عقول جبارة ، مثال ذلك تلك الأدلة الفلسفية المدققة على وجود الخالق جلّ وعلا ، التي يراها المطالع في كتاب التهافت للغزالي . وكتاب تهافت التهافت لابن رشد ، وقد طبع الكتابان طبعة جميلة في المطبعة اليسوعية ببغروت . ولا ينكر أحد أن في تلاوة كتاب الاخلاق لارسطو وكتاب جمهورية أفلاطون وكتب عديدة في التوحيد فوائد كثيرة يستفيد منها المتأدبون

وإذا انتقلنا الى كتب التاريخ وجدنا أن لمؤرخي العرب فضلاً كبيراً في هذا الباب . ومن المعلومات أن التاريخ لا يشبه العلوم السائرة فالحادثة التاريخية لا تتكرر . وقلما ينقلها اثنان على وجه واحد ، لأن أثرها في شخص ما قد يختلف عن أثرها في شخص آخر . وإذا لم يتح لها من يحفظها في صدره أو على القرباس ضاعت ونسيها الناس . فالعرب كانوا من أحرص الأمم على الصدق في رواية الأخبار . وأظن أن العناية من خصائصهم وحدهم . وقد نشأ فيهم عدد كبير من المؤرخين النقاة حفظوا تاريخ أمتنا في كتب نفيسة . ولا خلاف على كون هذه الكتب التي يعرفها كل أديب تحتوي أحياناً على مبالغات أو على خرافات لا يسلم العقل بصحتها ولا خلاف أيضاً على كون التاريخ أصبح له اليوم مأخذ وقواعد علمية راسخة كعرفة اللغات القديمة وقراءة الآثار ومقايضة المستندات المختلفة وتمحيص محتوياتها ، ولكن كل ذلك لا يقدح في صحة زبدة الأخبار التي اشتملت عليها كتب التاريخ والتراجم العربية في العصور المختلفة . ويمكن العرب في الجغرافيا من صنع خارطات جغرافية تكاد تكون مجملات لصور البلاد التي عرفوها . وقد اشتهر منها كرة الادريسي . ومن بدائه الأمور أن آلات المسح الحديثة لم تكن معروفة في تلك الأيام ، وأنه لا يجوز اليوم أن نكتفي بالخارطات القديمة لما فيها من النواقص والاغلاط . ولكن من ذا الذي ينكر أن بعض الكتب الجغرافية القديمة كمعجم البلدان لياقوت الحموي مثلاً تعد خزانة ثمينة من الجغرافية والأدب جميعاً ومن ذا الذي ينكر أن هذا السفر النفيس يقرؤه العربي بلذة في كل زمان وفي كل مكان . ومن الكتب القديمة ما لا تبلى جدته على كر الأيام كمقدمة ابن خلدون وكتاب التاج أو أخلاق الملوك للجاحظ وأمنالهما ويستنتج مما ذكر أن بعض آثار السلف في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والأخلاق تصلح للنشر وإن الزمان لا يقلل قيمتها ، وأن في تلاوتها فائدة ولذة للعالم والمتعلم على السواء

﴿ الحقائق والأخيلة ﴾ كان القدماء لا يعدون المرء عالماً إلا إذا تناول بالبحث جميع العلوم البشرية . ولهذا كان العلماء حريصين على التأليف بعلوم مختلفة لا رابطة تربط بعضها ببعض البتة . فالجاحظ مثلاً صنف في الحيوان ، وابن سينا في الفقه والتوحيد ، والكندي

في الموسيقى ، والشيخ عبد الغني النابلسي في الزراعة الخ . أما اليوم فالذي يدعي معرفة العلوم كلها يعد جاهلاً أو مجنوناً والذي يؤلف في علوم مختلفة يخلط ويعثر فلا تروج مؤلفاته ولا يكتب لها البقاء . والعالم في هذا الزمن هو الذي يلم المأمم بأسس العلوم المهمة ثم يختص بعلم واحد أو بفرع واحد فينكب عليه سنين طويلاً ويقتله درساً ويكون له فيها أبحاث خاصة أو نظريات أو مكشوفات أو مخترعات

ولقد اتسعت العلوم اليوم اتساعاً يحير العقول . وهاكم مثلاً واحداً على ذلك وهو علم الحشرات . فالحشرات في كتب الحيوان القديمة لا يتجاوز بحشها كلها عشرين أو ثلاثين صفحة نصفها أدب ونكات وخرافة ولغة . أما اليوم ففي خزانة كتي سفر فرنسي في علم الحشرات ألفه أحد اساتذتي يشتمل على ثلاثة مجلدات ، في كل منها ما لا يقل عن ٨٠٠ صفحة يضاف إليها سفر رابع في الصور والأشكال . ومع هذا يعد هذا الكتاب موجزاً في العلم المذكور لا مطولاً . وأعرف عالماً قضى عشرين سنة من عمره وهو يدرس رتبة واحدة من رتب الحشرات وهي مغمدة الاجنحة . وهكذا الحال في العلوم السائرة وفروعها . فعصرنا اذن هو عصر الاختصاص

وما كانوا في القديم يقتصرون ، في الأبحاث العلمية ، على الطرائق المتبعة في هذه الأيام وكانت أبحاثهم تارة يقينية قائمة على الحس والتجارب والاستدلالات العقلية ، وطوراً غيبية تقوم على التخيلات وعمل القوى المجهولة . أما اليوم فقد ساد الأسلوب العلمي في البحث . ومعنى ذلك ان القدماء كانوا يجعلون حوادث الكون خاضعة لارادة الأصنام فالآلهة فالأه فالأحد فالعلل السكائمة بها المنفردة عنها ، الى ان عدل العقل البشري أخيراً عن كل ذلك ، وانصرف في العلوم عن البحث عن أصل الكائنات ومدبرها الى النظر في النواميس الطبيعية التي تسير حوادث الكون بموجبها . فالعلم اليقيني اليوم يقتصر على تناول صلة الموجودات الثابتة بعضها ببعض ، بصرف النظر عن صلتها بالانسان الذي يحس ويفكر أو صلتها بمجموع العالم ولا يهتم في العلوم اليقينية بمعرفة ماهية الصلات التي تربط الاشياء بعضها ببعض . بل يكتفي بمعرفة النتائج من المقدمات ، اي معرفة الحوادث التالية من التي سببتها وأدت الى حدوثها . والعلوم اليقينية ثابتة لأنها تفرض بادىء بدء صحة شيء ما دون الابتعاد عنه ، وتقف عند النتيجة الحاصلة دون ان تتعدها . ومنذ ان اقتصر الانسان على بحث العلوم بالاسلوب العلمي المذكور أخذت العلوم تتسع وتقدم . ولم تبدأ العلوم تتجرد من الأساليب الغيبية الا منذ عهد باكون وديكارت في الفلسفة ، وكپلر وغاليليو في العلوم . ولم تصر العلوم يقينية محضة الا منذ القرن الماضي

أما الفلسفة فهي التطلع الى معرفة الكون بمجموعه ، ومعرفة النفس التي تدركه . وهي

ايضاً انتقاد العلوم وتحديداتها وإتمامها بأفكار يتوخى بها تصوير وحدة الكون الحقيقية . وتتناول الفلسفة مجموع المدركات كما تتناول علاقة ذهننا بما لا يمكن ادراكه . ويوصي العلم الفلسفة بأن لا تجزم الامور في كل ما لا يمكن ادراكه مادام العقل البشري غير قادر على بثه . ويتضح من ذلك ان الفلسفة تقوم منطقيّاً على الاستقراء ، وانها تتوخى جعل الحقائق ضمن المعقولات . أما الأخيلة فليست بعلم ولا فلسفة بل هي أوهام لا نحسها ولا نعقلها

ولأضرب مثلاً يتضح به الفرق بين العلم والخيال . اذا قلت لكم ان ذوات الأزهار في النباتات تتناسل بيزورها أو تتكاثر بأجزاء منها فأكون قد ذكرت لكم قاعدة علمية جامعة مانعة دللتنا عليها الصلة بين الأم والولد في تلك النباتات . وبناءً على ذلك يمكنكم ان تبتوا كون شجرة صنوبر مثلاً لا تتولد إلا من بذرة صنوبر وكون شجرة التين لا تتولد إلا من بذرة تين أو من قضيب تين يقطع فيغرس وهكذا . فاذا ذكرت لكم انه جاء في كتاب الفلاحة النبطية الذي ترجمه ابن وحشية ان الصنوبر والتين يتولدان من نباتات أخرى أجبتم بأن هذا خيال ووهم لا يقره الحس ولا العقل . وهاكم جملة ابن وحشية (خذوا من شجرة الخرنوب الشامي من عروقها الطوال ، فلفوها على قرني ثور ، وانقعوها في الزيت سبعة أيام ، ثم اجعلوها في الارض ، واسحقوا الكندر وذروه عليها اذا غرست فانها تنبت شجر الصنوبر) و(ان خلطتم من اليرج الرطب أصلاً وفرعاً ، ومثل وزنه من العسل والشمع وزرعتموه في الارض كما تزرعون سائر الاشياء ، وصببتم عليه وقت زرعه من الماء ما تعلمون انه قد وصل اليه ، ثم تركتموه ولم تزيده ، خرج من ذلك التين الاخضر الشديد الحلاوة) وهاكم مثلاً آخر : اذا سألنا اليوم سائل بماذا يقتات الذئب ، اجبناه على الفور ان الذئب من فصيلة اللواحم اي من آكلات اللحوم فهو يقتات بما تشتمل عليه من عناصر غذائية معروفة . ولكن اذا قرأنا نهاية الأرب في فنون الادب للنوري (ج ٩ ص ٢٧١) نجده يقول (ويقال ان الذئب اذا لم يجد ما يأكله استعان بادخال النسيم في فيه ، فيقتات به) أي انه يكتفي بأكل الهواء . وهو مخالف لأبسط القواعد المعروفة في التغذية

واليكُم مثلاً ثالثاً . يقر العلم امكان انقلاب الذكر خنثى . ولكن العلم يجعل هذا الانقلاب من الأمور الشاذة جداً ولا سيما في الانسان وكبار الحيوان . أما صاحبنا النوري فيقول (ج ٩ ص ٢٧٤) (يقال ان الضبع كالارب تكون مرة ذكراً ومرة أنثى) أي انه جعل هذا الانقلاب قاعدة مطردة في الحيوانين المذكورين وهو مخالف للحقيقة

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا الفرق بين بحث الأمور بأسلوب علمي يقيني وبحثها بأسلوب خيالي غيبي . ففي العلم لا يوجد يقال . . ويقال . . واذا جزم أحد الفلاسفة ان الروح حية بعد المات او غير حية أجابه العالم لا أدري لاف هذا الأمر لا يمكن بثه بالوسائل العلمية

المعروفة . وإذا خلط صاحب الخيال وتوهم أوهاماً كالتي توهمها النويري كذبهُ العالم على الفور وأفهمهُ بأنها مخالفة لحقائق العلم الثابتة

✽ الخلاصة ✽ لقد كان أجدادنا العرب سداة علوم الأقدمين وواسطة نقلها الى الأوربيين ولم يكتفوا بمدرسة تلك العلوم والاحتفاظ بها طيلة القرون التي لبثت فيها أوربة سادرة في خضم من الجهل المطبق ، بل وسعوها وأضافوا إليها اضافات مهمة تدل على ما ظهر فيهم من عقول جبارة تناولت العلوم بأساليب ووسائل علمية لا غبار عليها . ولا ينكر المنصفون من الغرب فضل العرب على الحضارة فيما أضافوه الى الطب والنبات والطبيعة والحساب والجبر والمثلثات والفلك وغيرها من العلوم . ولولا العرب لصاعت العلوم القديمة بجملتها ولتأخرت النهضة الحديثة سنين طوالاً لا يعلم الا الله مقدارها

ولست ابتغي بهذه العجالة تعداد ما أثر علماء العرب وبيان أبحاثهم الفذة التي سبقوا غيرهم إليها في مختلف المعارف البشرية ، فان ذلك يستغرق بضع محاضرات ، ولكنني ارى ضرورة التنبيه الى ان آثار الاجداد العقلية بعضها يصلح لكل زمان كالامهات من كتب الأدب والفلسفة والدين والرياضيات والتاريخ والجغرافيا . وبعضها لا بد من الرجوع إليه ريثما نضع ما هو أصح منه ككتب اللغة اي المعاجم . وبعضها لم يبق صالحاً او كافياً لآيامنا هذه ككتب الطب والكيمياء والطبيعة والزراعة والنبات والحوان

ونحن والأوربيون سواسية في هذا الصدد . فالناكيز مثلاً ما برحوا يطبعون كتب شكسبير الأدبية . وما برح الفرنسيون يقبلون على مدارس روايات راسين وموليير . ولكنه لا يجول في خلد أحد من الطابعين في انكثرة او في فرسة ان ينشر كتباً ألفت في عهد هؤلاء الأدباء في الطب والزراعة والطبيعة والكيمياء والموايد . واذا نشروا كتباً كهذه فانما يفعلون ذلك بغية اطلاع العلماء على حلقة من حلقات تقدم العلوم المذكورة لا بغية جعل الجمهور يستفيد من موضوعاتها العلمية لأن هذه الموضوعات قد تبدلت تبديلاً كلياً بدءاً من اوائل القرن الماضي على الأخص ولا يجوز لنا ان نكتفي بما عرفه الأجداد من تلك العلوم ، بل يجب ان نطلع على ما

ولدتهُ قرايح الأوربيين من العلوم والمخترعات الحديثة ، وان نقبس منها ما فيه صلاحاً مادياً وأدبياً . وللوصول الى هذه الغاية ينبغي لنا ان نتعلم أساليب التفكير العلمي والبحث العلمي أي ان نزن جميع الامور بموازينها المضبوطة . ومتى سرنا على هذه الطريق القويمه نجد ونشاط نكون قد ساهمنا قليلاً في تقدم العقل البشري على حين ان أجدادنا قد ساهموا فيه كثيراً . وكيف نرضى بأن نعد مقصرين في حلبة المدنية الحاضرة وأجدادنا كانوا المجلين في مدينة تلك الايام . فلنعمل بأساليب العصر الحديث مثلما عملوا بأساليبهم ولنبن كما بنوا فما كتبت الحياة الا للشعوب الحجة العاملة

الغاز الحربي

صفاته وخواصه واستعماله (١)

- ١ -

في جدول المواد السامة التي يعرفها الكيميائي مئات من المركبات ، ولكن ما يصلح منها للاستعمال في الحرب ، يعد على أصابع اليدين . إلا أن السواد من الناس بوجه عام يستنكرون هذا القول ، لأن الراسخ في أذهانهم نما تنشره بعض الصحف ، غير العلمية ، أن في محفوظات الوزارات الحربية المختلفة ، وصفات متنوعة ، لغازات وسوائل فتاكة ، يخرجها القواد عندما يستشعرون دنو الحرب ، ويركبونها في المصانع ليستعملوها في الميدان

ولكن السواد على خطأ في اعتقادهم هذا إذ ليس بالأمر اليسير ، اضافة مادة كيميائية جديدة الى المواد الصالحة للاستعمال في الحرب . وليست الصعوبة في استنباط المواد ، بل في اجتماع جميع الصفات والخواص التي تجعلها صالحة للحرب . فالمادة الكيميائية الحربية يجب ألا تكون سامة فقط ، او مهيجة للاغشية ، إذا كانت منتشرة انتشاراً يسيراً في الهواء . بل يجب ان تتصف بخواص كيميائية وطبيعية معينة ، وان تكون مما يسهل صنعه ونقله بنفقة يسيرة . فالبحث عن مادة كيميائية تجمع هذه الزايا عمل كبير . والعثور عليها يكاد يكون متعذراً . فالمادة الكيميائية الحربية المثل لم توجد بعد ، وقد لا توجد مطلقاً

في السنوات الأربع التي انقضت بين أول هجوم استعملت فيه الغازات الحربية سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٩ عندما عادت معامل البحث العلمي الحربي الى حالتها في إبان السلام ، بحث العلماء في ٣٠٠٠ مادة كيميائية بغية التثبت من صلاحها للاستعمال في الحرب او عدمه . فظهر أن ثلاثين مادة منها فقط تصلح لذلك ، وأن عشر مواد او خمس عشرة مادة فقط يمكن استعمالها استعمالاً واسع النطاق . وقد كان العلماء الذين أقبلوا على هذه الناحية من البحث ، من أكبر علماء الكيمياء في العالم . وكانت الرغبة في انتصار الأمم التي ينتمون اليها تحثهم وتدفعهم الى الابداع ولم تتوقف مباحثهم عند عقد الهدنة و ابرام معاهدات السلام ، بل مضوا فيها ، وعلى الرغم مما اشارت اليه الصحف من استنباط الغاز الحربي الكامل ، ليس ثمة ما يدل على أن هناك

ما يؤيد هذا القول . وقد دل البحث في هذه الأقوال ، على أن الغازات التي اشارت اليها الصحف ، كانت مما تناوله البحث قبلاً ، فأهمل ، لأنه لا يتصف بالصفات والخواص الأساسية التي يجب أن تتوافر في كل مادة كيميائية حربية .
وقبل أن نصف ما يجب أن تمتاز به المواد الكيميائية الحربية ، لابد من كلمة نقولها في طبيعة الغاز الحربي .
فأولاً من الخطأ تسمية هذه الطائفة من المواد « بالغازات السامة » والاكتفاء بذلك

— ٢ —

ان معظم المواد الكيميائية المستعملة في الحرب ، سوائل أو جوامد في حالتها السوية . وهي تثبت في الهواء بوسائل مختلفة : يوضع بعضها في قنابل تنفجر فتتشر الجامد أو السائل دقائق او قطيرات في الهواء . وبعض الجوامد منها ، يصعد بالحرارة فينتشر بخاراً لطيفاً . وبعضها يحمل في الطائرات ثم يلقى منها فيقع فوق الارض في قطيرات أو ضباب لطيف . وأغلب هذه المواد التي تلقى من الطائرات سوائل ، وانما يمكن ذر الجوامد المسحوقة بالطريقة نفسها . أما ما كان طياراً منها ، فيوضع في الغالب في أنابيب او اسطوانات ، تخرج منها عند فتح صمام خاص فتسكون من أجرتها غيوم تحملها الريح . وسواء دعونا هذه المواد جميعاً بالغازات السامة او الغازات الحربية او المواد الكيميائية الحربية ، فهي جميعاً مواد تؤثر بتفاعلها الطبيعي السوي ، تأثيراً ضاراً في الجسم ، وتحدث حجباً كثيفاً من الدخان ، او حريقاً يدمر مواد الحرب خاصة

ومن الواضح أنه اذا وجب البحث عن مادة كيميائية للاستعمال في الحرب ، وجب ان تكون مفيدة من الناحية العسكرية . بل ويجب ان تؤدي هذه الفائدة العسكرية ، على وجه أوفى مما تؤديه مادة أخرى معروفة او سلاح آخر متداول . ولذلك تقسم المواد الكيميائية الحربية أقساماً على أساس فائدتها العسكرية . فقد يستعمل بعضها للفتك بالأعداء ، أو لعرقلة أعمالهم ، أو لحجب الجيش الذي يستعملها عن عدوه ، أو لاجداث حرائق ولكن هذا التقسيم ليس فاصلاً . لان بعضها قد يستعمل لتحقيق أكثر من غرض واحد من هذه الاغراض . فالمواد التي تستعمل للفتك بالأعداء ، غرضها احداث الوفاة في من تصيبه ، او شلّه وتحتيم نقله الى المستشفى . والمواد التي تستعمل للعرقلة غرضها اضعاف الجيش بالزامه ان يلبس الكمامات الواقية . والمواد المستعملة للحجب ، غرضها الحيولة دون تمكّن العدو من مراقبة حركات خصمه وإحكام القاء القنابل عليه .
وهناك تقسيم آخر للمواد الكيميائية الحربية أساسه فعلها الفسيولوجي في الجسم .

فهيجات الرئة تؤثر في جهاز التنفس والفوسجين أهمها وأشدّها فعلاً . ومهيجات الجلد تؤثر في الجلد وتنشئ فيه نقاطات وأهمها غاز الخردل ، بل أنها تؤثر في أغشية العين وفي جهاز التنفس كذلك . وهناك الغازات المدرة للدمع وهي تهيج أغشية العين وتضعف البصر وأهمها غاز (الكلورو اسيتوفينون) . وهناك مهيجات أغشية الانف فتحدث العطاس الشديد والدوار والضعف الذهني . وأهمها غاز (الداينفيل كلوروآرسين) . وأخيراً نجد المواد التي تسمم الأعصاب وتشلها وأهمها الغاز الايدروسيانيك فهو يؤثر تأثيراً مباشراً في الجهاز العصبي ويليه غاز أول أكسيد الكربون فإنه يؤثر في الدم ويحول بينه وبين نقل الاكسجين الى نسج الجسم

إلا ان البحث لم يسفر حتى الآن^(١) عن وسيلة عملية تمكن الجيوش من استعمال الغاز الذي يسمم الجهاز العصبي ، او يؤثر في الدم . نعم ان غاز أول أكسيد الكربون الذي يتولد عند انفجار القنابل الشديدة التفرقع يفتك بكثيرين ولكننا لا نستطيع ان نحسب هؤلاء القتلى صرعى الحرب الكيميائية

ويختلف الغاز الحربي عن القنابل في ان القنابل تنطلق في خطوط منحنية معروفة فاذا أصابت شظاياها أحداً في نطاق فعلها ، وهو ضيق ، قتلتها والا فأنها تضيع سدى حالة ان الغاز الحربي ينتشر في الهواء ويتغلغل أحياناً في المنخفضات فيمتد فعله فوق مساحات كبيرة من الارض

والغازات أنواع من حيث استمرار فعلها بعد انطلاقها من اسطواناتها . فالغاز الذي يتبدد فعله بعد بقاءه في الجو عشر دقائق عندما تكون سرعة الرياح عادية ، يقال انه غاز غير مستمرّ الفعل Non-persistent والغاز الذي يستمر فعله بضع ساعات بعد انطلاقه يعرف باسم الغاز المستمرّ الفعل Persistent . فغاز الفوسجين مثال على النوع الاول لأنه عند انطلاقه يتبخر ويتبدد مع الرياح . أما غاز الخردل فغاز مستمرّ فيبقى فعله بعد انطلاقه ساعات او أياماً . فهذه الصفة ، من الصفات التي يحسب لها حساب كبير عند البحث عن مادة كيميائية حربية

يتضح مما تقدم ان البحث عن الغاز الحربي الأمثل محدود باعتبارات عسكرية وفسيولوجية وطبيعية وكيميائية . ثم يضاف اليها جميعاً الاعتبارات الاقتصادية ، لأنه من العبث استنباط غاز يكلف صنعه نفقة كبيرة ترهق الدولة التي تصنعه وتستعمله . واذاً فلا بد من البحث عن

غاز وسط، يجمع كل ما يمكن جمعه في الغاز الحربي من الصفات اللازمة، لان الغاز الحربي الأمثل متعذر فعلاً

— ٣ —

في المقام الاول يجب ان يكون هذا الغاز فعالاً اذا وجدت مقادير قليلة منه منتشرة في مقادير كبيرة من الهواء. والمقادير القليلة هنا تعني وجود أجزاء يسيرة من الغاز الحربي في ملايين الاجزاء من الهواء. لانه اذا كان الغاز غير فعال عند ما توجد منه هذه «المقادير الصغيرة» في الهواء فهو لا يصلح من الوجهة العسكرية. اذ لا يخفى ان عدد الاسطوانات المحتوية على الغاز التي يمكن نقلها الى صفوف الجيش الامامية، محدود. فالارطال القليلة التي تطلق منها يجب ان تكون فعالة في تحقيق الغرض العسكري منها وهو الفتك بالعدو او عرقلة اعماله

ويرى الدكتور رودلف هانسليان الثقة الالمانى في موضوع الحرب الكيميائية أن الفوسجين يحدث تهيجاً شديداً في اعضاء التنفس والعيون اذا وجد منه أربعة أجزاء من مائة جزء من الاوقية (٤. ر من الاوقية) في الف قدم مكعبة من الهواء، اي اذا وجد منه اوقية في أربع مائة الف قدم مكعبة من الهواء بل اذا وجد منه في الهواء مقادير اقل من المقادير المتقدمة، واستنشقه الانسان بضع دقائق متوالية، فقد يفضي استنشاقه الى تسمم مميت

اما الغاز المدر للدفع فيفعل فعله اذا كانت مقاديره في الهواء اقل مما تقدم. ويقول الدكتور هانسليان ان وجود ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزء من الاوقية (٣. ر) في الف قدم مكعبة من الهواء كاف لتهيج اغشية العين واستدرا دموعها، ومن هذه الغازات مركب يدعى (برومبنز لسيانيد) يؤثر في العين تأثيراً أليماً جداً بعد التعرض له ثلاث دقائق ولو كان المقدار المنتشر منه في الهواء ٨. ر من الاوقية في ١٠٠٠ قدم مكعبة من الهواء. ولتقريب هذا المعنى الى القارىء، نقول: تصور انك أخذت اوقية (Ounce) من هذا الغاز وقسمتها عشرة آلاف جزء ثم اخذت ثمانية اجزاء منها ووضعتها في صندوق من الهواء طوله عشر اقدام وعرضه عشر اقدام وعمقه عشر اقدام (أي غرفة متوسطة) ووقفت فيه ثلاث دقائق فقط فعندئذ تشعر في عينيك بألم لا يطاق. وهذا النوع من الغاز لا يميت، ولكن انتشاره يضطر الجندي الى لبس كمامته الواقية في الحال، ولبسها يعرقل صمله ويضعف كفاءته العسكرية، فاذا كانت الخطة العسكرية تقتضي عرقلة اعمال العدو وتأخيرها فغنيمة واحدة من هذا الغاز تكفي

وغاز الخردل كذلك فتباك شديد الفتك. فالجرعة القاتلة منه تختلف من ٠.٠٦ ر الى ٢ ر

من الاوقية في الف قدم مكعبة من الهواء . وذلك يتوقف على مدة تعرض المرء لاستنشاقه . ولكن وجود جزء من الغاز في اربعة عشر مليون جزء من الهواء يكفي لتسهيل اغشية العين . ويمكن استرواحه اذا وجد جزء منه في عشرة ملايين جزء من الهواء . ومع ذلك احترق جلد بعض الذين جلسوا على ارض لصقت بها آثار من هذا الغاز من دون ان تشم رائحتها ، اي ان مقداره كان اقل من جزء في عشرة ملايين جزء من الهواء الملاصق للارض . فمقدار تركيز الغاز في الهواء عامل واحد في قياس فعل الغاز ، والعامل الثاني هو مدى التعرض له

والصفة الثانية التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربي الأمثل ، صعوبة الوقاية منه اي انه يجب ان يخترق الوسائل التي يستعملها العدو للوقاية منه او اضعاف فعلها على الاقل . ولا يخفى ان جميع الدول قد صنعت وسائل متقنة للوقاية من الغازات الحربية . فاذا كان الغاز الحربي عاجزاً عن التغلب عليها فقد كل قيمته الا اذا اطلق على العدو على غرة منه اي عند ما يكون الجنود غير لا يسين الكمادات الواقية وهذا غير كبير الاحتمال لان الجنود يمرنون تمريناً دقيقاً على استعمال الكمادات بسرعة . نعم ان استعمال الكمادات يعرقل الجندي المكتم ، ولكن ذلك ليس كل ما يُبتغى من استعمال الغازات الحربية

فالغاز الحربي الأمثل لا يكتفى فيه بحمل جنود الاعداء على التكتم ، بل يجب ان يؤثر في اجزاء الجسم المختلفة اي يجب ان يهيج الاغشية في الرئتين والعينين والانف والجلد لان تغطية الجسم كله من الرأس الى اخمص القدم ليس بالأمر السهل . وغاز الخردل يتصف من هذه الناحية بهذه الصفات . فالوقاية منه تقتضي ان يرتدي الجندي رداءً مصنوعاً من قماش لا يخترقه الغاز ، وهذا الرداء اذا غطي الجسم تغطية تامة أهرق لبسه الجندي وجعل القتال وهو مرتديه متعذراً أكثر من بضع دقائق

واذا كان الغاز الأمثل لا يؤثر في جميع أجزاء الجسم فيجب ان يكون مما يخترق الكمادات . ولكي يتصف بهذه الصفة يجب ان يكون غازاً لا يتفاعل مع غيره من المواد ولا يمتصه المواد التي توضع في الكمادات للوقاية من الغاز ، ولا يحجب ذلك الجزء من الكمادات المعروف بالمصفاة والغرض منها منع الدقائق الجامدة والسائلة من الوصول الى جهاز التنفس

فالكلور وهو من اشد الغازات فتكاً ، لا يصلح من هذا القبيل لانه شديد التفاعل مع غيره من المواد ، فالوقاية منه من أسهل ما يكون . ان قطعة من القماش مغموسة بالصودا اذا وضعت على الانف تمنعه من الوصول الى الرئتين . ويقابل هذا غاز يعرف باسم

كلوروبكرين ، وهو من الغازات التي تصعب جداً الوقاية منها

والصفة الثالثة التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربي هي سهولة صنعه . فقد يفو الكيميائي بصنع غاز متصف بجميع الصفات الكيميائية والفسولوجية في العمل ، ولكن اذا كان صنعه صعباً او يقتضي نفقة كبيرة فلا فائدة كبيرة منه . فقد قلنا ان قليلاً من الغاز الحربي الكامل يجب ان يكون كافياً للفتك بجندي من جنود العدو او شله عن العمل ، ولكن الخطط العسكرية ، قد تقتضي احياناً استعمال طن منه للاستيثاق من وصول هذا المقدار القليل الى العدو

فقد وصف اصحاب الخيال من الكتّاب بضع طائرات مجهزة بقنابل من الغاز في مكنتها ان تطير فوق مدن كبيرة فتبيد الحياة منها بما تلقيه عليها من الجو . وهذا غلو . نعم ان طائرة تستطيع ان تحمل من الغاز الفناك ما يكفي لآبادة سكان مدينة آهلة ، ولكن هذا لا يتحقق الا اذا وصل كل جزيء من جزيئات هذا الغاز الى سكان تلك المدينة . فالاصل في فعل الغاز وصوله الى من اطلق عليهم . وهذا قد يقتضي اطلاق مقادير كبيرة منه قبل الفوز بما يرام

واذن كائناً فعلُ الغاز ما كان ، فلا بد من تجهيز مقادير كبيرة منه . وكون العالم يستطيع ان يجهز بضع أوقيات منه في معمل البحث لا يعني ان المهندس الكيميائي يستطيع ان يصنع منه الوفاً من الاطنان . فالانتقال من الانتاج العلمي الى الانتاج العملي التجاري ، عمل قلما يكون سهلاً

ثم ان الغاز الحربي الكامل يجب ان يكون رخيصاً . وهذا الشرط ينطبق بوجه عام على جميع الذخائر الحربية . فاذا كانت المتفجرات او المواد الكيميائية غالية الثمن وجب البحث عن غيرها مما هو ارخص منها ليحل محلها . فالمال عصب الحرب ، وهو احد اعصابه الرئيسية وقد تسخو الحكومات عند اشتداد الازمة حيث كانت تحرص ، ولكن الاتفاق له حدود ، لا تستطيع اية حكومة ان تتعداها . فاذا كان لدى حكومة ما مادتان حريبتان قريبتان احدهما من الاخرى في الفعل ، وكانت اقلهما فعلاً ارخصهما ثمناً ، فالغالب ان الحكومة تؤثر الرخيصة على الغالية . فغازنا الحربي الكامل لا يكون كبير القيمة اذا كان غالياً . ولعل هذا العامل دون غيره شأننا الآن ، بعد ما ارصدت الوف الملايين من الجنيهات للحرب السكية

والصفة الرابعة التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربي الكامل هي ان يكون صنعه ممكناً من مواد خام تكثر في البلاد التي يصنع فيها ، فلا تحتاج في صنعه الى استيراد مواد من الخارج قد ينقطع ورودها في اثناء الحرب . بل يجب ان تكون هذه المواد الخام ، بما

لا يكثر الطلب عليه في صناعة الذخيرة الحربية بوجه عام ، لثلاث تقضي كثرة الطلب الى غلائها فغلاء الغاز الحربي الذي يصنع منها . فانكثرا مثلاً صعب عليها بعض الشيء في خلال الحرب العالمية الاولى الحصول على عنصر البروم لصناعة الغاز المدر للدموع لذلك استنبط رجالها مركباً آخر يدخل اليود في تركيبه وهو المركب المعروف باسم « اثيل يودر اسيتات » . ولكن بعد الحرب استنبطت وسائل جديدة لاستخراج عنصر البروم من ماء البحر

ويجب ان يكون نقله سهلاً . فمشكلة النقل في اثناء الحرب مشكلة كبيرة وكل ما يعتمدها ويجعل النقل صعباً يضيف الى متاعب القواد . بل يجب كذلك ان يكون نقله غير مخفوف بالخطر . فكل مادة يصعب حصرها في انايب او اسطوانات ، أو تأكل الاسطوانات التي توضع فيها بتفاعلها الكيميائي معها ، غير مرغوب فيها بوجه عام . فمادة « البرومبنزلسيانيد » تأكل الصلب والحديد وتفقد فعلها الفسيولوجي ، ولذلك يتعذر وضعها في القنابل او الاسطوانات العادية كغاز الخردل ، بل يجب ان توضع في اسطوانات من زجاجات او اسطوانات معدنية مطلية من الداخل بالمينا . وهذه أمور تضيف الى نفقة صنع الغاز ، وتزيد ثقل الادوات التي تحتويه

ويجب ان يكون مستقر التركيب اذا لا فائدة من غاز تصنعه وتضعه في اسطوانات ثم اذا انقضت عليه ايام أو أسابيع تحلل الى مواد لا تضر احداً اذا اطلقت عليه . ولا يخفى ان كل جيش من الجيوش ، يحتاج الى العتاد الحربي عند بدء الحرب ، أي ان عدته من المواد الحربية الكيميائية ، يجب ان تكون مجهزة قبل بدء الحرب . فاذا كانت من المواد غير المستقرة التركيب ، كان لا فائدة منها على الاطلاق ، وكان كل مال ينفق على صنعها واعدادها مالاً مضاعفاً . وأفضل مثل على ذلك « سيانيد الايدروجين » . فهو يتصف بصفات تجعله غازاً حريصاً فعالاً ولكنه غير مستقر التركيب . وغاز الخردل يفوقه في هذه الناحية وقد شوهدت اسطوانات ملئت بغاز الخردل سنة ١٩١٩ وفتحت سنة ١٩٣٥ فاذا الغاز الذي فيها لم يطرأ على تركيبه تغيير ما

وأخيراً يجب ان يكون الغاز الحربي الكامل مما يصعب تبينه اي يجب ان يكون لا لون له ولا رائحة ولا طعم . ولا يعرف الا غاز واحد متصف بهذه الصفات وهو غاز أول اكسيد الكربون . ولكن هذا الغاز لا يتصف بجميع الصفات الاخرى . وغاز الخردل يفوقه من هذه الناحية كذلك كما يفوق معظم الغازات الحربية من نواح اخرى . فغاز الخردل في حالته البخارية لا لون له ، ومع انه قوي الرائحة ، الا انه بعد استنشاقه دقيقة من الزمان يشل

عصب الشم

الهيكسوس

عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

للدكتور باهور ليب

يشوب عصر الهيكسوس ظلام قال عنه الاستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : « إن هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلا آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي لهؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم »

على أنه بالرغم من هذا الظلام فقد تحدثنا في المقال السابق الذي تفصل المقتطف بطبعه في جزء فبراير ١٩٤٢ عن أصل الهيكسوس وموطنهم الاول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع ان نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما تقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انه في الوقت الذي كان يحكم فيه ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حات وعرت » (هوارس) عاصمة لهم وزى أنها في الأصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية

ويصح ان مانيتون عند ذكر هذا جالت بفكره قصة أوزوريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزوريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح ان يكون عضو من جسمه وهو القدم قد استقر في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزوريس . ومن جهة أخرى زى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل الينا أيضاً في اللغة القبطية (المصرية) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة

وقد وصل إلينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية سالييه الأولى مثلاً، مكتوباً في صورة أخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً إلى جانب القدم. فمن الجائز جداً أن المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها. إذ أن معنى هذا الرسم الجديد هو مكان الهروب وذكر لنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصلحت التلف وأكملت الناقص بعدما كانت البلاد تنبت تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت (هوارس) في الدلتا. فنستوثق من هذا النص أن عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا. ولا بد لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة. لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين عاش في ادفو يخبرنا فيها: « أنه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت (هوارس) وجنوباً إلى كوش ». وهذا النص يرينا أن الموظف سافر إلى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس إلى كوش الواقعة في أقصى الجنوب

ولدينا رسم لأسم المدينة يدل على أنها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل

بعد ذلك لدينا رسم آخر لأسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة أخرى تدعى « حات وعرت امتت » أي حات وعرت الغربية « نعلم أن الأولى (عاصمة الهيكسوس) لا بد أن تكون في الجهة الشرقية. فهي تقع إذن في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس. غير أن Gardiner^(١) توصل إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها معتمداً على عوامل متعددة. والعوامل التي بلغت به إليها يمكن تلخيصها فيما يلي: —

(أولاً) المكتشفات التي قام بها الاثري Montet^(٢) في بلدة تانس

(١) A. Gardiner, Tanis and Pi-Ramesse, A Retractation, Jour. Eg. Arch XIX p. 122 ff.

(٢) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Montet, Les Dieux de Ramses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.

(ثانياً) ثم تحليل Sethe (٣) للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعائة من تجديد عبادة الإله ست
وعلى ذكر ما تقدم نقول إنه إلى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو أن عبادة الإله
« ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلا أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت إلى هذه
الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نقر » الذي اثبتته الاستاذ يونكر في مقالة
عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الإله ست قائد الحارين الذي في بلدته سزرت » والذي علق عليه بقوله « سزرت
هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فإذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة
فمعنى هذا أن عبادة الإله ست ترجع إلى الدولة القديمة أي إلى ما قبل دخول الهيكسوس
في تلك الجهة . وهذا يفسر لماذا كان جد ملوك الرعامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد
الإله ست إله تلك الجهة

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية

(رابعاً) مقارنة تبين أن الآلهة التي عبدت في « بر — رعسيس » عاصمة الرعامسة هي
بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هوارس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس
هذه الآلهة الإله « ست »

وقد أسفرت هذه الأبحاث عن أن عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما
بعد الرعامسة عاصمةً لملكهم وسموها « بر — رعسيس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس
« حات وعرت » (هوارس) ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانيس » ثم أطلق عليها العرب
الاسم الحالي « صان الحجر » الكائنة في شمال الدلتا الشرقي (٤) حيث وجدت أخيراً آثار
الملك شيشق . ونحن نلاحظ أن مدينة هوارس (حات وعرت) التي اتخذها الهيكسوس
عاصمة لهم لم تنشأ من العدم وإنما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل .
وكانت الحكمة من جعلها قريبة من الحدود الشرقية للدلتا هي أن تكون قريبة من بلادهم
الأصلية ليسهل عليهم العودة إلى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة أي بعبارة أخرى لأسباب
جغرافية سياسية

(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

(٤) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, p. 20 ff

مدة حكم الهيكلوس

اختلف العلماء القدماء منهم والحديثون في تقدير مدة حكم الهيكلوس في مصر فيحدثنا مانيتون عن طريق أفريكانوس أن مدة حكمهم في مصر هي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسفوس أن مدة حكمهم في مصر لا تبلغ إلا ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت الطول الذين يتبعون توقيت مانيتون مثل Petrie يقدر أن حكم الهيكلوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المختصر مثل Meyer و Breasted يخالفون الرأي السابق ويعتقدون أن هذه المدة هي مائة سنة فقط. أما Dubois Richard (٥) فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً أنها مائتا سنة

أما نحن فنرى أن مدة حكم الهيكلوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سنة ١٧٣٠ ق.م إلى سنة ١٥٨٠ ق.م (٦) وقد توصلنا إلى هذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفكرة التوقيت الطول لأنها تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ المقارن والتاريخ الفلكي وعلى هذا الأساس فإن المدة التي وصلنا عن طريق مانيتون وعن أصحاب التوقيت الطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتعدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق.م إلى ١٥٨٠ ق.م)

وأما نظرية بريستد وماير في أن مدة حكم الهيكلوس هي مائة سنة فقط فخطئة وذلك لأن ردية الملوك بمتحف تومرين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ست ملوك من الهيكلوس هو مائة وثمانى سنوات (٧) وهؤلاء الست هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي أن مدة حكم أول أسرة هيكلوسية بلغت مائة وثمانى سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكلوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء فلذلك لا يمكننا الأخذ بهذه النظرية. وكذلك نرى أن قول Dubois Richard مبالغ فيه أيضاً وذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكلوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيذاً لذكرى والده المدعوسيتي ولجده الأكبر المدعو

(٥) Dubois — Richard, Essai sur les Gouvernements de l'Egypte, Le Caire 1941, b, 50

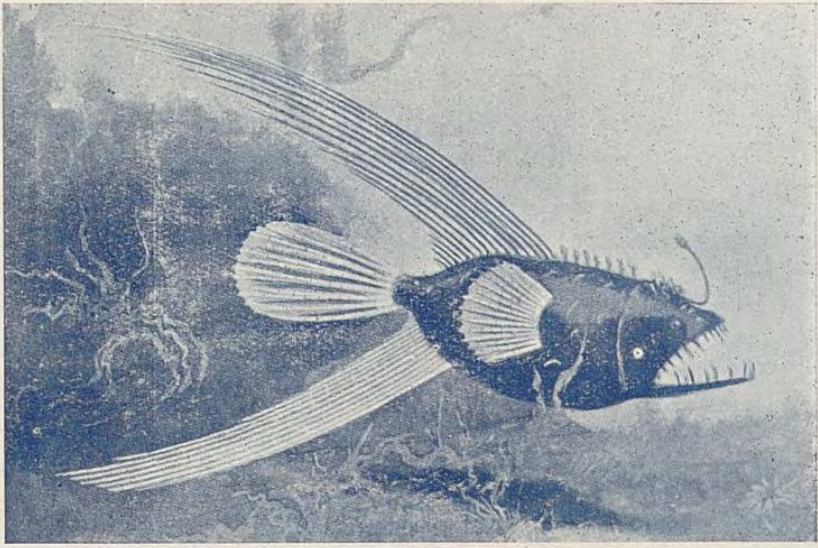
(٦) Pahor Labib, opp. cit. (٧) op. cit.

أيضاً سيتي وتجديداً لعبادة الاله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمه Nubtj وأوردت له اسماً ثانياً وهو « ست » القوي وأرخت هذه اللوحة بيوم ٤ مسرى من السنة الأربعمئة من حكم « نوبتي » ست القوي ونعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الاله « ست » وهو مشتق من المدينة التي عبد فيها هذا الاله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ اقامة هذه اللوحة . و (ثانياً) تتحدث لوحة الاربعمئة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الاول . وتتحدث كذلك عن أحد اجداد رمسيس الثاني وهو جده الأكبر المدعو سيتي ايضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الاقواس » تحت حكم الملك حور محب اي حوالي سنة ١٣٣٠ ق . م ^(١) ومعنى ذلك أن كلا من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمى باسم الاله ست لان معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الاله ست » . لهذا نجد أنه ليس بالغريب أن تتحدث اللوحة عن تجديد (وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين) عبادة الاله ست في شرق الدلتا لأن عبادته وجدت قبل ذلك ولاننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في عصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرعامسة وعلى رأسهم الاله ست . وكذلك عرفنا ان عاصمة الهيكسوس « هوارس » هي نفس عاصمة الرعامسة « بر-رمسيس » وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية

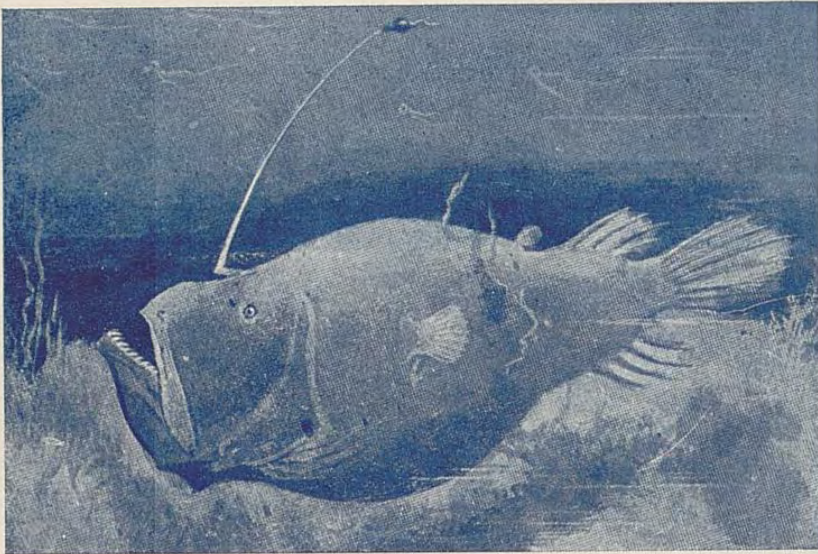
والآن بعد ان عرفنا ان الجدل المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وأنه معاصر للملك حور محب فلننضيف الأربعمئة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق . م . فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق . م . وهي سنة تجديد عبادة الاله ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الاله ست جددت في أول عهد الهيكسوس عند ما جدد بناء العاصمة تانيس (هوارس)

فالآن بعد ان عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق . م . وان أول حكم الأسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق . م . وهي سنة طرد الهيكسوس نهائياً من مصر نستطيع ان نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة

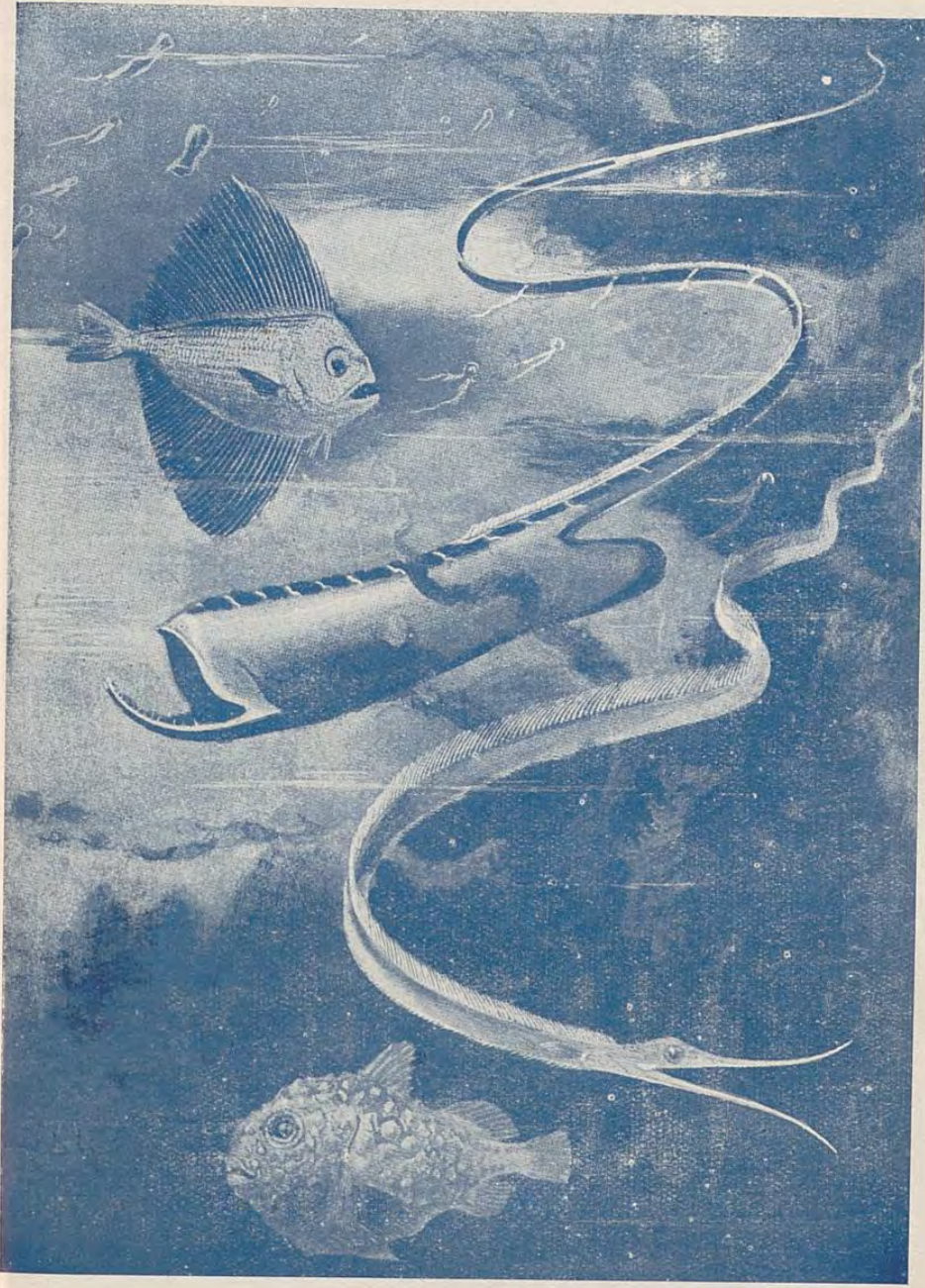
(١) راجع مقالنا المنشور في مجلة « القانون والاقتصاد » العدد الخامس من السنة الحادية عشرة



القنّاصة المضيئة



القنّاصة المتربصة



طائفة من السمك الذي يعيش في اغوار البحار . في الزاوية العليا اليسرى من الصورة سمك كبير الزعنفتين الظهرية والصدريّة . وتحت السمك « الذي حلقه كالكيّس وذيله كالسوط » وتحت سمك يشبه الشريط . وفي اسفل الصورة « السمك المدرّع »

سمك الاغوار

غرائب أسماك وطبائعها

كثيراً ما يحجهم علماء السمك عن تبسيط المعروف عن « سمك الاغوار » لاسباب متعددة في طبيعتها مبيان : أولاً — ان السمك غير مألوف وأسمائه باللسان العلمي غريبة وهي غالباً مزيج من الأصول اليونانية واللاتينية وقلما تقل حروف الاسم الواحد عن ثمانية أو تسعة فيشق النطق بها على من لم يتعودها . وثانياً — ان النماذج التي تستخرج من قعر البحر قليلة بالقياس الى الأصناف الكثيرة التي تروح وتجيء في الاغوار المظلمة ، فهي لا تمثل تمثيلاً دقيقاً جميع طوائف الاحياء في أغوار البحار ولا بد ان تبقى طائفة كبيرة من « سمك الاغوار » تحيط سحجف الجهل بأشكالها وتشريحها وطبائعها ومع ذلك فإن غرابة اشكال هذا السمك (وبعضها يشاهد في الصورة المقابلة) يحفز الكتاب الى وصفها

ليس بين هذه الاسماك صفة خارجية مشتركة الا صفة اللون، وهي اما سود أو رمادية قائمة ، وهذا يتفق وقيام الاغوار التي تعيش فيها . ولكن أشكالها تختلف اختلافاً كبيراً . فسمكة لها عينان كراشي دبوسين وأخرى عيناان كصحفتين . وواحدة فيها مفغور ككيس مفتوح وجسمها كالسوط ، وأخرى فيها صغير مستدير وجسمها متكور كالسحفاة . وقد يكون جسم احداها مستطيلاً مشيقاً وله زعنفة ذيلية أو عضو آخر قوي يستعمل في تحريكها ، وقد تكون اخرى متكئة ولا زعنفة ذيلية لها على الاطلاق

يرى القارئ في الصفحة المقابلة سمكة طويلة دقيقة تشبه الشريط . وهي تقطن أغوار البحار في مناطق متباعدة ، وعلى أعماق تتفاوت من مائتي قامة^(١) الى التي قامة . واكبر سمكة

(١) تطلق عند المولدين على قياس طول قامة الانسان (محيط المحيط) تقابل fathom وطولها ست أقدام وهي مقياس معتمد في سبر أغوار البحار

صيدت من هذا الصنف ، صيدت على عمق ١٨٠٠ قامة وكان طولها ٦٥٠ مليمتراً أو نحو قدمين . ولكن هذا الطول لا يجب ان يعدّ ممثلاً لحجم هذا الصنف من السمك . فطبيعة السمك الذي يسكن الأغوار البحرية يجعل صيد النماذج الكبيرة منه شاقاً أو متعذراً وهناك سمكة أخرى ترجمة اسمها العلمي كما يلي : سمكة ذات حلق كالكيس وذيل كالسوط . وهي من أغرب هذه الاسماك الغربية . ولعلّ أهم طبائعها يستخرج بالنظر اليها أو الى اسمها — وهو النهم . ولم يصد منها الا خمسة نماذج وقد صيد ثلاثة منها لأن السمك كان يحاول ان يلتهم سمكاً آخر يفوقه حجماً اضعافاً كثيرة ، فاختنق وطقا وقد اخذت هذه النماذج الثلاثة على سطح البحر

اما النموذجان الآخران فصيدا على عمق ٩٠٠ قامة . واكبرهما كان طول جسمه عشرين بوصة وطول ذيله ثمانين بوصة !

ثم هناك سمكة أخرى مدرّعة . ودرعها هذه من اسرار الحياة في المحيط . لأنها تجعلها كالقنفذ أو أشد فعلاً في اعدائها . واذا خضت الدرع وشوهد ما فيها من شوك ونتوءات كأنها الحجر الصلب ، تغطي جسم السمكة ، وفي كل تنوء إبر بارزة ، يعمل الباحث الى القول بأن الطبيعة أبدعت ما أبدعت في هذه السمكة لتمكنها من شق حلق كل سمكة تحاول ازديادها أو بقر بطن كل سمكة تسعى اليها . وما يعرف عنها لا يشير الى أنها تسكن الأغوار السحيقة وقد لا توجد على عمق يفوق ١٢٩ قامة تحت سطح البحر . وليس في وصفها العلمي ما يشير الى حجمها ، ولكنها على المرجح صغيرة . ومن هنا ضرورة درعها الواقية ، وهي تعرف باسم « سمكة الكرة المدرعة »

وهناك سمكة أخرى اسمها « القناصة المضيفة » وفيها تشاهد الزعانف وقد نمت نموّاً عجيباً ، وفيها مع انفخاره وضخامته بالقياس الى جسم السمكة ، شكله ومكانه سويّان . ويلوح ان شكل هذه السمكة ملائم للمطاردة . فالزعانف الصدرية والظهرية أطول من جسم السمكة نفسها وواقعة قرب الزعنفة الذيلية ، وهذا يمكنها من الحركة السريعة . ويخترق هذه الزعانف خيوط تضيء عند ما تهتاج السمكة فتبدو في شكل يهر الانظار أو يهر سائر السمك . وهي تختلف عن سمكة أخرى تعرف « بالقناصة المتربصة » وهي تكاد تكون عاجزة عن السباحة ولا يزيد طولها على بوصتين وتعيش على نحو ٧٠٠ قامة تحت سطح البحر . ويلاحظ أن زعانفها ضمرت وعيناها دقيقتان كراسي دبوسين وجهاز الصيد الذي تصطاد به السمك — وهو شبيه بشص الصياد — قد نما فيها بالقياس الى ما يقابله في القناصة المضيفة

يوم في خزانة

عيسى اسكندر المعلوف

بقلم الدكتور بشر فارس

هذا عالم آخر من علماء لبنان ^(١) خرّج التلاميذ ودرّب الطلبة الى جانب التأليف والتصنيف زهاء خمسين سنة في همة تجهل القعود وبدراية واسعة . وهو أبو شفيق المعلوف صاحب ديوان « عبقر » وأبو الرحوم فوزي صاحب « شاعر في طيارة » هذا القصيد الفريد الباقي على الزمن

زبرته في رحلة في طريقي الى دمشق أول الخريف الماضي ، ولبثت بداره يوماً أتصفح مخطوطات فيها النادر والنفيس ، بعضها من قلمه والآخر من اقلام من تقدم . ولا يسعني الاّ أن أنوّه بما وقفني ، ولعلّ في ذلك متعة او فائدة لقارئ « المقتطف » . على ان للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف توالييف مطبوعة ، لا أتأمل عندها ولا أذكر منها الاّ كتاباً هو « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » ^(٢) . وقدّر هذا الكتاب في عرضه لتاريخ حوران وذكر أسرها ولا سيما الغساسنة ، وفي اشاراته الى تاريخ لبنان وفلسطين مع تدوين طائفة كبيرة من الحوادث والوقائع بجنب الشئون العمرانية والفوائد الجغرافية ثم العادات والاخلاق واما المخطوطات فغير قليلة . واليك التي نشطت لموضوعاتها : —

(١) في اللغة (الفصيحة والعامية)

١ — « فهرس شرح الأمثال العامية العربية » وهو يشمل أربعة عشر الف مثل تجري على ألسنة الناس في لبنان وسورية وفلسطين وما يجاورها . وميزة الكتاب ان المؤلف يردف

(١) انظر مقال في العدد السابق من المقتطف (مايو ١٩٤٢) : « التنبيه الى كتاب فريد جامع » للفيلسوف فيليب دي طرازي ، وهو كتاب لا يزال مخطوطاً كما أخبرتك : وإني مستدرك هذا على هذا المقال : ص ٤٣٢ هامش ١ س ١ ، اقرأ : الرابع بدلاً من الواقع — ص ٤٣٣ س ١٣ ، اقرأ : دوماً ، بدلاً من روما — ص ٤٣٥ س ١٤ ، اقرأ : فتكلم على ، بدلاً من فتكلم عن — ص ٤٣٤ هامش ٢ س ٢ من تحت ، زد بعد ص ٧٦ : « كذلك طمعة شيوخو ، يبروت ١٩٢٣ ص ٥١ س ٢٢ — ص ٤٣٦ س ١٨ ، اقرأ : الكتاب المخطوط ، بدلاً من الكتاب — ص ١٩ ، اقرأ : واكباري له ، بدلاً من اكباري — هامش ١ السطر الاخير ، اقرأ : انظر ص ٣٥ — ٤٦ و ١٧٣ — ١٨٩ خاصة ، بدلاً من ص ١١٧ — ٢٦٦)

(٢) طبع في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨

المثل العامي بما قيل في معناه في الفصحى ، نحو ذلك هذا المثل العامي : « البرطيل بيحلّ شاش القاضي » . ثم يلي المثل قول الشاعر :

فبرطل ان أردت الخال يمشي فلا يمشي سوى خفّ البرطل
ثم قول سليمان البستاني ناقل الإلياذة ، وقد نظم معنى للفُرس :

بعشر خيارات لقاضيك رشوة تثبت في البطيخ عشر مزارع

٢ — « معجم الالفاظ العامية والدخيلة » في سورية ولبنان وفلسطين ، مع رد اللفظ الى أصله العربي او الأعجمي من جهة الاشتقاق او التعريب ، وإيراد ما وضع العرب او المؤلف نفسه للفظ ان كان أعجمياً . ولهذا المعجم مقدمة في اللغة العامية وآدابها وفنونها

(ب) — في الأدب

١ — « شجذ القرية في المقتطفات البليغة الفصيحة » في مجلدين . الاول في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، والثاني في المعاني الشعرية من السماء حتى الأرض مع ذكر العلوم والاختراعات . وفي المجلد الاول مباحث في الشعر عند الأمم العربية والغربية ، ومن الفصول : طبقات الشعراء عند العرب وتحليل اشعارهم ، شعراء الاعاجم شرقاً وغرباً ، الشاعر وآدابه ، الحس والخيال والمعاني ، الموازنة بين الشعر العربي في المشرق وفي المغرب ، في فن قرص الشعر ، اكتساب ملكة النظم ، شياطين الشعر ، اختلاف خيالات الشعراء . كل ذلك مستخرج من أقوال العرب وآرائهم وأشعارهم . ثم التقليد والتجديد ، الروية والارتجال ، الذكاء والعبقرية والنبوغ ، ثم الفنون الشعرية : التشطير والتخميس والتسديس الى التعشير ، الموشح وكيف يكتب برسوم على اشكال غصون مع امثلة مختلفة ، التاريخ الشعري الى آخر ما هنالك من الاجازات والالغاز وغرائب القوافي والاشعار والاوزان ، ثم الترجمة ^(١) . وأما المجلد الثاني فيتضمن المعاني الشعرية مرتبة على تحدرها من السماء حتى الأرض . وفيه طرائف وغرائب من الوصف

على أني وقفت في مطاوي هذا الكتاب الضخم على بعض مسائل أخشى أن تكون معروفة وأخرى أظنها مطروقة . فلعل المؤلف يطرحها عند المراجعة والتهديب ، أو يجتزئها بالاشارة اليها

٢ — « تكملة ديوان الامام الشافعي » الذي طبع منه مختارات في القاهرة (سنة ١٣٢١ هـ) .

(١) ومن ملح هذا الباب الاخير ما نظمه الشيخ ابراهيم الحوراني (المتوفى في بيروت سنة ١٩١٦) مترجماً معنى للشاعر الروسي بوشكين :

قال الذهب الدنيا ملكي قال الفولاذ أنا الناهب
قال العقيان أنا الشاوي قال الفولاذ أنا الناهب

وقد رجع المألوف الى مخطوطات نادرة، في مقدمتها «مناقب الامام الشافعي» للعسقلاني (١)
 ٣ — «مجموع الدواوين المفقودة»: هي دواوين بحث عنها الاستاذ الجماعية في
 مخطوطات كثيرة متفرقة في الخزانات المختلفة، فجمع منها قصائد ومقطوعات لشعراء
 مجهولين او مهملين كأمثال:

السيد احمد البرير الدمياطي البيروتي وهو من أدباء مفتتح القرن التاسع عشر. فقد
 عثر له المصنف على أكثر من ألفي بيت، ومن قوله في الشيب:

خيوط الشيب قد مدت بفودي ومدَّ خيوطها قصر الحياة
 أجادت غزلها أيدي الليالي لتنسجه غداً كفناً لذاتي

وملحم الشميل اللبناني، وشقيقه امين الشميل، والسيد عبد اللطيف فتح الله مفتي
 بيروت، والشيخ راجي اليازجي شقيق الشيخ ناصيف، ومحمود بك ابن خليل بك العظم
 الدمشقي، والسيد علوان الغرّ قاضي بيروت، والسيد أحمد الغر مفتي بيروت، والقس
 حنايا المنير الزوقي، والحاج حسين بيهيم البيروتي. وكل هؤلاء من أدباء القرن التاسع عشر
 ٤ — «ذيل شعراء النصرانية» وفيه أم المألوف ما كان نشره الأب شيخو

٥ — «تبيد الأوجال في فن الأوجال» وهو مجموعة من الأوجال القديمة والحديثة في
 سورية ولبنان ومصر والعراق وسائر البلدان العربية (٢)

وقد استخرج المألوف مواد هذه المجموعة من عدة مخطوطات محفوظة في خزائنه.
 واني أعلم أن المستشرق ليسرّف Lecerf وصفها ورجع اليها في بحثه المستفيض في الأدب العامي
 العربي (٣). ومن مطاوي هذا البحث يتبين لك أن الاستاذ المألوف من الأثبات في فن
 الزجل وأدبه وتاريخه

(١) سرد بروكن المستشرق العلامة في كتابه النفيس «تاريخ الآداب العربية» (التمكلة) ليدن
 ١٩٣٧ ج ١ ص ٣٠٤ «مناقب» أخرى للشافعي وتوايف ضمت من أقواله وأشعاره. ولعل الاستاذ
 المألوف يراجع هذا الفصل، فقد يجد فيه مصادر جديدة
 (٢) واليك مثلاً زجلاً مصرياً للسيد حسين بن أحمد الكبيسي:

يا لله اعذروني باللهوى يا مسلمين هذا الذي استحل عذاب العاشقين
 أعرض وما سلم فناديت يا سلام هيا أنا وإياك لقاضي العاشقين
 قال تدعي بالعشقى هل عندك شهود فقلت له رمان صدرك والنهود
 وخالك السود مع حجر الحدود هندي شهودي في خديك ظاهر من ..

(٣) J. Lecerf, "Littérature Dialectale et Renaissance Arabe Moderne" (٣)
 Bulletin d'Etudes Orientales (Damas) année 1933, tome 3 p. 121 et
 suivantes «نشرة الدراسات الشرقية (دمشق)»

(ج) — التاريخ

- ١ — «معاوض الدرر في أدباء القرن التاسع عشر» في مجلد كبير يبلغ ألف صفحة. ترجم فيه المؤلف لعدد وافر من الأدباء الذين اهتمهم غيره أو زاد على ما جاء عند غيره. والمترجمون بين عرب وافرنج، وهؤلاء ممن أقام ببلاد العربية أو ساح فيها مثل الكولونل تشرشل بك الذي توفي في ناحية «سوق الغرب» بلبنان، وهو عم المستر تشرشل رجل الساعة في انكلترة، وممثل رتشارد وُد Wood الذي قصد الى لبنان سنة ١٨٣١ ليخرج منه ابراهيم باشا^(١)
- ٢ — «تاريخ آل اليازجي» في مجلدين. وقد دفعه المؤلف الى مطبعة دير الخلّص بقرب

مدينة صيدا

- ٣ — «الآخبار المروية في تاريخ الاسر الشرقية». وهو سفر شامل «لتواريخ الاسر في لبنان وسورية وفلسطين والعراق والعجم وآسية الصغرى ومصر وبلاد العرب والغرب وما اليها وفي المهاجر. وهذه الاسر من جميع المذاهب المسيحية والاسلامية والاسرائيلية على اختلاف طوائفها ومناشئها ومواطنها وأنسابها واسمائها أصولاً وفروعاً، ثم ذكر حوادثها وتراجم سلاسلها الخ». وقد بلغ هذا السفر حتى ٢٤ اغسطس ١٩٤١ أربعة عشر مجلداً كبيراً وأما مصادر الكتاب فبين المنقولة سماعاً والمتعقبة في بطون المخطوطات والمطبوعات مثل كتب الأنساب وما يأخذ اخذها من الشجرات والعناقيد، ومثل الحجج والسجلات أو صحائف الخراج والخرج والكنائش والتذاكر والسفائن. فهو استخراج للمخبرات. والكتاب غير مرتب بعد على حروف المعجم كما هو شأن توالييف السمعاني والقلقشندي وغيرهما، بل هو في طور الجمع والتدوين وإن كان صاحبه يعالجه منذ ثلاث واربعين سنة، فالابواب لا تزال مفتوحة لقبول مواد جديدة أو متممة. ولكن ثمة مسارد كثيرة وافية يهتدي بها المطالع الى أسماء الاسر وأسماء الاماكن وعيون الناس من أهل سياحة أو أدب أو علم

وقد اخبرني المؤلف أنه كتب الى اعقاب تلك الاسر يسألهم عما لديهم من الأخبار فاطلوا أو أهملوا الأقلهم، ولما كتب اليهم يدعوهم الى مشاركته في اخراج الكتاب رد بعضهم على هذا النحو: «أرسل الينا تاريخ أسرنا، فإن كان فيه لنا فائدة اشتركنا». وأما سائر الاعقاب فأبوا إلا الصمت... هذا هو الشرق!

(١) ولهذين الانكليزيين خاصة نوادر في البلاد، ثم ان لاول ثلاثة كتب مفيدة: الاول، Ten Years Residence in Lebanon الثاني: The Druzes and the Maronites الثالث في الامير عبد القادر الجزائري

تلك هي المخطوطات التي من قلم الاستاذ المملوك ، ولعل أجملها شأنًا يخرج عاجلاً . ثم إن في خزانة هذا العالم الدائب في العمل مخطوطات أحب أن أشير إلى بعض ماله شأن

١ — « مجموعة رسائل » تاريخ نسخها سنة ٦٤٤ هـ ، لكبار الكتاب مثل ابن بصافة وابن الأثير صاحب « المثل السائر » في مراسلة المملوك . وبعض هذه الرسائل في الحروب الصليبية

٢ — « مجموعة من كتب الدروز » وهي نحو ١٥ كتاباً . فيها اسرار هذه الطائفة ، وأنشيدوها ، واخبار عن أعيانها ، وشؤون في معاملتها لسائر الطوائف . وطى هذه المجموعة مقالات ادبية للسيد عبدالله التنوخي الدرزي

٣ — « تاريخ نابليون الاول » لنقولا الترك اللبناني (١٧٦٣ — ١٨٢٨) . وفائدة هذا التاريخ أنه يشتمل على كثير من المنشورات والرسائل الخاصة بحملة نابليون على مصر ^(١)

٤ — « تاريخ مصر » خليل الخوري الشاعر (١٨٣٦ — ١٨٧٥) صاحب جريدة « حديقة الاخبار » البيروتية ، ألفه باشارة من سعيد باشا ^(٢)

٥ — « جامع الفنون وسولة الحزون » تأليف نجم الدين احمد بن حمدان بن شبيب الحراني الحنبلي المتوفي سنة ٦٩٥ هـ (؟) . فيه مباحث مختلفة ، فهو أشبه بدائرة معارف في الجغرافية وما إليها خاصة ^(٣)

٦ — « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » للمرادي المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ . ومعلوم ان هذا الكتاب طبع في أربعة مجلدات (١٢٩١ و ١٣٠١ هـ) . إلا ان ميزة نسخة

(١) جاء في « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » لشبخو ، بيروت ١٩٢٤ ، ج ١ ص ٢٣ — ٢٤ : « لنيقولا الترك تاريخ الامبراطور نابليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت نابليون سنة ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة ، كتبه بانصاف وحسن ذوق مع تعريف أسباب الحوادث وسوابقها ولواحقها والحكم في جيدها وسببها . وهذا الكتاب قد طبع نصفه الاول في باريس سنة ١٨٣٩ بهمة الميوديجريج Desgranges الذي نقله الى الفرنسية وألحقه بعدة ملاحظات وهو يحتوي تاريخ نابليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ ، وأما النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً . وهنا لم يذكر شيخو الخزانات الحافظة للمخطوطات »

(٢) تجد ترجمة خليل الخوري في « مشاهير الشرق » لزيدان القاهرة ١٩١١ ج ٢ ص ١٤٠ وما يليها . ومما أثبتته زيدان : « ولم تقف على ذلك الكتاب (يعني « تاريخ مصر ») ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الفقيه »

(٣) في « تاريخ الآداب العربية » لبروكلن ط سنة ١٨٩٨ ج ١ ص ٥١٢ و ج ٢ ص ١٣٠ ذكر هذا الكتاب بعنوانه ونسب الى اثنين اسمهما واحد : الاول كمال وشاعر مصري توفي سنة ٦٩٥ هـ ، والثاني كان في مصر سنة ٧٣٣ هـ . وفي « تكملة » هذا التاريخ . Suppl . ج ١ ص ١٦١ — ١٦٢ ، استدرج بروكلن فوقف عند الثاني ، ووصف الكتاب فقال ان فيه سرداً لعجائب مصر جله على نحو ما جاء في كتاب « جواهر البحور . . . » لاراهيم بن وصيف شاه . وقد أرشد بروكلن الى الخزانات التي تحفظ هذا المخطوط ، وهي دار الكتب الوطنية بباريس والمتحف البريطاني وغيرها . هذا ولاني أدعو الاستاذ المملوك ان يراجع ما ورد في كتاب بروكلن للتحقيق والتثبت ولا سيما انه أخبرني بأن لهذا المخطوط نسخة أخرى في باريس فقط

المعلوف أنها بخط أبي الخير خطيب الدمشقي تلميذ المرادي ، وإن المرادي نفسه وقف عليها وضبطها ، ففيها فوائد وتصحيحات لا غنى عنها لمراجعة أو هام وردت في النسخة المطبوعة ٧ — « ديوان » لعبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣ هـ في « المراسلات » . وهو غير « ديوان الحقائق ومجموع الرقائق » المطبوع^(١) . وفي هذه « المراسلات » فوائد كثيرة عن دمشق وغيرها من المدن الإسلامية مع ذكر أسماء العلماء والصناع وعرض شؤونهم ثم إن هنالك مخطوطات يحسن التنويه بها لما يزينها من التزاويق

١ — « كشف الهموم والكرب في شرح آلة الطرب » للمشهدى . فيه تصاوير لطيفة للآلات والغازفين ، بينها صورة جارية هارون الرشيد والكماني يدها^(٢)

٢ — « كتب في الفلك » لقاضي زاده الرومي من القرن التاسع الهجري

٣ — « كتاب جر الاثقال » لهيرون الفيلسوف اليوناني (الاسكندردي) ، نقله قسطنطين ابن لوقا البعلبي^(٣) والمخطوط من القرن السادس عشر الميلادي

٤ — « رسالة في الشطرنج والقتال وصف العساكر بطريقة المناصب الشطرنجية » لأحمد ابن حجلة التماساني المتوفي سنة ٧٧٩ هـ^(٤)

٥ — « حياة الحيوان » للدميري المصري . وهو مطبوع ، لا مخطوط ، طبع في فارس سنة ١٢٨٥ ، مع صور جميع الحيوانات المذكورة في الكتاب (طبعة نادرة)

هذا بعض ما انتهى الي في ذلك اليوم الذي قضيته متصفحاً ، فاحصاً ، من حولي طرائف وضائف ، بين يدي شيخ جليل حبس حياته على طلب العلم ونفع الناس به . فما أظنني أضعت يومي ، ومن قبل قال الحسن البصري : « الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء »

(١) انظر طبعاته في « معجم المطبوعات العربية ... » لسركيس ص ١٨٣٣

(٢) هذا المخطوط في دار الكتب المصرية أيضاً ، ولكن المؤلف (وهو المشهدى كما في مخطوط المعلوف) غير المذكور . ورقم المخطوط عندنا : ١٠ — فنون جميلة ، وتجد وصفه في « نشرة بأسماء كتب الموسيقى والغناء ومؤلفيها المحفوظة بدار الكتب » طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢ ص ٢٣ . وهذا المخطوط مأخوذ بالتصوير الشمسي عن نسخة خطية في مكتبة طوب قيو سراي بالآستانة . هذا . وأردت أن أنظر في هذه النسخة المحفوظة في دار الكتب عندنا لأخبر الفارئ هل فيها التزاويق التي تزين نسخة المعلوف . ولكن هذه النسخة من المخطوطات التي جعلتها الدار في المخابى حذراً من غارات هذه الحرب . على أن « النشرة » المذكورة فوق لم تصرح بأن في النسخة تزاويق

(٣) هذا المخطوط في خزانة ليدن والقاهرة أيضاً واسمه « شيل أثقال » . وقد طبع مع بحث وترجمة في اللغتين الفرنسية والإيطالية (راجع « تاريخ الآداب العربية » لبروكلن ، ط سنة ١٨٩٨ ج ١ ص ٢٠٤)

(٤) لم أجد ذكر هذا الكتاب في « تاريخ ... » بروكلن ولا في « تكملة » . على أنني لا أجزم ، وذلك أن هذا التاريخ الجامع لا يزال مقتصراً إلى مسارد وأفية لأسماء المؤلفين وأسماء الكتب

أسماء مصر

لناشد سيفين

لهذه البلاد أسماء عدة ومرجعها جميعاً الى ثلاث لغات وهي اللغة المصرية القديمة والسامية واليونانية . غير ان الآراء مختلفة على معانيها والسبب في وضعها . واني سأتناول في هذا المقال أشهرها محاولاً أن ألقى ضوءاً على الأصول التي اشتقت منها

أما الأسماء المصرية القديمة فكثيرة وكل منها يصف البلاد من احدى نواحيها وأشهرها ثلاثة :
الاول — « تاميري » ومعناه الارض التي يغمرها الفيضان . وعندنا لفظتان أرجح أنهما مشتقتان من هذا الاسم وهما « دميرة » وتطلق على فصل الفيضان . والآخرى « طمي » وهي تطلق على الرواسب التي تمكث في الارض من ماء الفيضان

والثاني — « تاوى » ومعناه الأرضان وبلغة العصر الحاضر الوجهان البحري والقبلي
والثالث — « خم » ويقول الرحوم العلامة أحمد باشا كمال في كتابه الحضارة القديمة ان الآراء مختلفة في معناه فمن قائل انه موقد او بحيرة او تنور ومن قائل انه ربوة ذات نار مستعرة ومن قائل انه أسود

ولما كان الرمز المصطلح عليه في الكتابة الهيروغليفية لهذا اللفظ هو ذيل التمساح وهو مميز بسواد لونه وحراشفه الناعمة الغليظة فانه يخلص من ذلك ان المراد بلفظة خم وصف الوادي المنزرع بالسواد والتشقق تميزاً له عن الصحارى التي على جانبيه وكانت تسمى « تاردر » أي الارض الحمراء

أما الأسماء السامية فأقدمها الاسم العبري « ماحور » وهو مشتق من اسم مصرام ابن حام . وسبب نشوء هذا الاسم يرجع في اعتقادي الى لبس وقع فيه اليهود بسبب طريقتهم الخاصة في نطق الحاء أدى بهم الى الخلط بين « خم » و « حام » أحد أولاد نوح . ذلك بأن الحاء في لسانهم وسط بين الحاء والكاف . فاذا نطقوا « خم » وقعت على الأسماع قريبة من « حام » فحسبوا ان اسمها هكذا ودعوا أرض حام ويرى مصداق هذا في الزمور الخامس بعد المائة . وقالوا لتفسير ذلك ان حام سكن هذه البلاد فدعيت باسمه . واذا وجدوا ان من أسمائها

أيضاً «تاوى» وتفسيره الأرضان ويرادفه بلغتهم مصرياً قالوا ان مصرياً من ولد حام قد استقر في هذه البلاد وان أهلها من ذريته. فكان لذلك تسميتها باسمه. ومن هذا الاسم اشتقوا «ماصور» ومنه اشتقت الأسماء الآشورية والبابلية مصير ومصري وموصور والاسم العربي مصر أما الاسم اليوناني ايجبت فقد تضاربت الأقوال في اشتقاقه. ومن رأي العلامة بروكش انه مشتق من «حت — كا — بتاح» اسم منف عاصمة البلاد في زمن الدولة القديمة. ومعناه مكان نفس الإله بتاح. ويفسر ذلك على ما جاء في كتاب الحضارة القديمة الذي سلفت الإشارة اليه بأن الأقوام المتوحشين من ملاحى البحر المتوسط كانوا ينفدون الى مصر ويسمعون من أهلها اسم عاصمتهم لكونها كانت أكبر مدن مصر وأهمها وأغناها ونقلوه محرفاً الى ايجبت ومن بلادهم انتقل الى سائر بلاد اوربا. ولست أرى هذا الرأي لسبيين : —

الاول — انه لم تجر العادة ان يطلق اسم مدينة بالغة ما بلغت من العظمة على قطر بأسره كما انه ليس يصح في الاذهان ان يجهل هؤلاء الملاحون اسم البلاد التي كانت في ذلك العهد أغنى بقاع العالم والمنفردة من دونهما بالحضارة ثم يهبطون اليها على جهلهم بها ، وامثالهم انما يركبون الاخطار ويتجشمون الأسفار ابتغاء المنفعة وجرياً وراء المغام. ويتجولون من ثم في أنحاء الدلتا ويرون مدائنها العظيمة ومعالمها الفخمة ومظاهر الثراء البالغ فلا تأخذهم من ذلك دهشة تحفزهم على السؤال عن اسم البلاد. ويلبثون على ذلك حتى ينتهي بهم المطاف في العاصمة وهناك لا يعرفون اسم البلاد ولكن يسمعون من أهلها اسم مدينتهم فيحسبونه اسم البلاد وينقلونه محرفاً الى بلادهم

والسبب الثاني لمعارضتي هذا الرأي هو ما تقرره معاجم اللغة من ان لفظة كيا يونانية وان اليونان الاقدمين اشتقوها من «خم» اعترافاً لهذه البلاد بأنها واضعة الاسس لهذا العلم النفيس والحقيقة التي تبرز من ذلك هي ان هذه البلاد كانت معروفة في اليونان في عصر ازدهار العلوم وتبويبها باسمها القومي لا باسم ايجبت

والذي اراه ان هذا الاسم لم يظهر في الوجود الا في زمن تمتع فيه المهاجرون من اليونان وجزر بحر ايجيه بنفوذ عظيم في البلاد. وبالرجوع الى التاريخ نجد انه قبل قيام الأسرة السادسة والعشرين كانت البلاد ممزقة الاوصال لوقوع الدلتا تحت نير الآشوريين ومصر العليا تحت سلطان الآثوبيين. وكانت الروح القومية من جراء ذلك واهنة فلما اراد بسامتيك توحيد البلاد ولم شعئها وربط أجزائها تحت حكمه لم يرَ مناصاً من الاستعانة على تنفيذ مشروعه بجنود يستأجرهم من هؤلاء المهاجرين. ويروي هيرودوتوس خبر ذلك لبيان فضل قومه وحسن بلاهم وهو مؤرخ يوناني زار هذه البلاد بعد بسامتيك بنيف ومائتي سنة اذ كانت قد أفل نجمها وفقدت استقلالها ودخلت في نطاق الامبراطورية الفارسية فيقول :

كانت الدلتا منقسمة الى اثنتي عشرة منطقة يحكم كلاً منها ملك مستقل بشعوبها. وكان هناك وحي ينبيء بأن احدهم سوف يتسلط على الآخرين ويبسط سلطانه على البلاد بأسرها وهو الذي يتاح له يوماً أن يسكب تقدمته من الحمر للاله بتاح من آنية نحاسية . فتعاهد الملوك فيما بينهم على ان لا يذهبوا الى العبد الا مجتمعين خشية ان يذهب احدهم منفرداً فيصنع ما أشار به الوحي في غفلة من الآخرين . ولبثوا على ذلك ردحاً من الزمن يسود بينهم الصفاء ويرفرف على ربوعهم السلام حتى كانت احدى السنين وحل موعد زيارة المعبد لتقديم التقدّمات المعتادة وكان المتبع في هذه المناسبة ان يعد الكاهن اثنتي عشرة كأساً ذهبية ليضع الملوك تقدّماتهم فيها غير انه في تلك السنة أعدّ عن سهو احدى عشرة كأساً فقط وأخذ يوزعها عليهم ولما جاء دور بسامتيك لم يصب كأساً . عند ذلك أسرع فزعر خوذته النحاسية وملاً ما خراً وسكبه منها أمام الاله . واذ رأى الملوك الآخرون ذلك بهتوا وأوجسوا خيفة من بسامتيك لعلمهم بما ينطوي عليه عمله من تهديد لهم فيما لو صدق الوحي . فآثمروا به واتفقوا على قتله . لكنهم عدلوا عن ذلك وتألّبوا عليه وتحالفوا ضده وحاربوه فأخرجوه من دياره ذليلاً مقهوراً وما زالوا يطاردونه حتى أدخلوه الأدغال الشمالية المحاذية للبحر

مكث بسامتيك هناك زمناً وهو كسير النفس حزين حتى لقد خامره اليأس من تبدل الأحوال وظن ان لا مخرج له من هذا المصير السيئ . فأرسل الى معبد بوتو يستفتي الوحي في أمره . فجاءه النبا اليقين بأن يوم الانتقام آت لا ريب فيه وموعده حين يجيء من ناحية البحر قوم من النحاس

كانت كلمات الوحي غريبة في بابها فلم يطمئن بسامتيك أول الأمر اليها كثيراً . وساورته الشكوك في امكان تحقيق الوعود التي جاءت بها . غير انه لم يمض الا زمن وجيز حتى هبط الى الشاطئ قرصان من اليونان والكاريين وكانوا جميعاً يلبسون دروعاً من النحاس تغطيهم من الرأس الى القدم . واذ رآهم بسامتيك نزلت السكينة في قلبه وأيقن ان الوحي قد صدقه الوعد وان ساعة الانتقام قد وافت . عندئذ تقدم اليهم وعرض عليهم ان يساعدوه على قتال الملوك الآخرين واخضاع البلاد بأسرها لسلطانه لقاء أجر كبير . فقبلوا ذلك وألف منهم ومن المصريين الموالين له جيشاً جرده لقتال ملوك الشمال الذين غدروا به . ولما فرغ منهم انتفض على الجنوب بجحافله فاستسلم له . وهكذا أصبحت البلاد بأسرها تحت حكم بسامتيك . وكان شجاعاً حازماً ومدبراً حكيماً ، واستطال زمن حكمه فاستطاع ان يضع الاسس المتينة لقيام أسرة من خلفته هي الاسرة السادسة والعشرون . فهذه الرواية وان تكن بالاساطير أشبه ، فان التاريخ يؤيد ما جاء فيها عن المهاجرين الايجيين واليونان ، انهم كانوا عدة بسامتيك في الانتصار على خصومه والدعامة القوية التي أقام عليها مجد أسرته ويزيد عليه انه أجزل لهم

العتاء جزاءً وفاقاً على ما أسدوا له من العون لبلوغ ما ربه فعينهم في حرمه الخاص وأقطعهم بعض الاراضي في الدلتا ومنحهم كثيراً من الامتيازات

حذا خلفاء بسامتيك حذوه ونهجوا نهجه . لكن كان أكثرهم سخاءً مع هؤلاء المهاجرين وأشدّهم عطفاً عليهم اجس الذي يدعوهم اليونان أمازيس ويشيدون بذكره كثيراً في كتبهم ويروون كثيراً من القصص عن كياسته وحكمته فلقد بلغ من جبه هؤلاء القوم أنه تزوج يونانية تدعى لارنكا وضاعف لهم المنح وزاد لهم فيما يتمتعون به من امتيازات حتى أصبحوا هم خير مقاماً في البلاد من المصريين أنفسهم وأفسح لهم المجال للانخراط في سلك الجيش فأصبح الجيش بهذه السياسة مؤلفاً من فرق مصرية وفرق يونانية وعلى رأس بعضها قواد يونانيون . وكان من جراء ذلك أن عظمت هجرتهم الى البلاد وكثر عديدهم فوهمهم أمازيس مساحات واسعة في الدلتا شيدوا عليها مدناً لهم خاصة وأقاموا فيها المعابد لآلهتهم من أشهرها نوكراتس وهي ميناء كانت تقع على فرع رشيد فداخلهم الغرور بما وطىء لهم من مهاد العز والجاء في تلك البلاد حتى كانوا يقولون على ما جاء في كتاب « على هامش التاريخ المصري القديم » للمرحوم عبد القادر حمزة باشا « بأن هذه المنطقة امتداد لليونان »

وإذا تقرر هذا فإنه يبدو من المحتمل جداً أن أولئك المستعمرين قد انساقوا مع غرورهم فأطلقوا على هذه المنطقة اسم ايجبتوس اشتقوه من ايجيا وهو اسم البحر الذي يفصلهم عن الجزائر التي نزحوا منها

وهناك اسطورة عند اليونان تزعم أن ايجبتوس كان من ولد زفس كبير آلهتهم وهو الذي أسكنه هذه البلاد فأطلق اسمه عليها وخلصتها انه كانت للاله زوجة تدعى هيراثم أخذ عليها امرأة أخرى تدعى ايو وكانت كاهنة لهيرا في معبدها فاستشاطت لذلك غضباً وتملكتها الغيرة وانتقمت منها بأن مسختها بقرة وجعلتها تضرب في الآفاق على غير هدى حتى هبطت هذه البلاد . وعلم زفس بأمرها فلحق بها وردها الى هيئتها الاولى وأولدها ابناً كان من سلالته ايجبتوس

هذه الاسطورة لا تخالف ما ذهبت اليه اذا انها لا تعدو ان تكون تعليلاً لوجود جالية يونانية ذات نفوذ في البلاد وهي تلقي في الروح ان هؤلاء اليونان لم يكونوا أجانب في البلاد لأن الاله هو الذي أوجدتهم فيها وأعطاهم اياها وهو زعم يتمشى مع نظريتهم القائلة بأن هذه البلاد امتداد لبلادهم التي على الجانب الآخر من البحر

وبعد بسامتيك بنحو أربعة قرون أصبح اليونان سادة العالم وانتهت اليهم أزمة الحكم في هذه البلاد فغلب الاسم ايجبتوس على البلاد كلها ثم اختصر الى ايجبت . ولما فتح العرب البلاد وجدوها تدعى بهذا الاسم فحرفوه الى قبط

من تراني لست أدري !

لحسين محمود البشبيشي

من تراني كنت قبل الروح قل لي من تراني
لست أدري مبدأ الروح... وميلادَ زماني
لا أرى سري الذي يخفي، وسري لا يراني !
بئست الدنيا إذا كان ضلالي في كياني !

من تراني لست أدري أي معنى لوجودي
ووجودي زورق يسري الى شط الحُود !
ما الذي أجرمتُ حتى تتزامني قيودي
مبدأي سر... وغاياتي في ليل اللُهود !

يا عذاب الفكر في سري وفي سرّ الليالي
حيرة طافت بأفكاري... وأوهام حياي
تتلقاني شكوك في أصولي ومالي...
غير أني... لست أدري ما صوابي من ضلالي !

موكب الأقدار يسري وبكفيه المصير
إن يكن سعداً فقلبي قد تجاوزاه السرور
او يكن شراً فروحي لم يعد فيه شعور !
وبقيت اليوم لا زهر بروضي او غير !

بسماتي آه يا ويحي ولت بسماتي

وتواتر فرحتي الكبرى بأللال الشكاة
فلسفات الكون أحزاني . وحزني فلسفاتي !
إن يكن فكري حراً ، فأنا عبد الحياة !

كلما رمتُ فكاً من حياتي وقيودي
جاذبتني نفحة تسري بروحي لوجودي !
فرايت الكون بسام المجالي والورود
وتهافت على الدنيا بأشواق الشريد !

نفحات الروض أعطاري ، وعطر الروح عمري !
أتراني إذ علمت العمر . . . قد أدرك عطري ؟
وأرى فكري وحمي صلة الله بسري !
إن يكن خلقي حقاً فصيري لست أدري !

في خضم الوهم ممدود شراع الفكر مني
ليس يدري ما وراء الموج من نورٍ ودجن !
تتراماه حثوف من تباريحي وحزني
ما سرى النوم بأفكاري وما داعب جفني !

أين من عقلي تهاويلٌ ظلامي وضيائي !
خدعٌ للنور سارت في تلايف القضاء
ما جداء النور والشك أمامي وورائي !
ظلمة قد عمت القلب فمن لي بالنجاء !

أنا من أمر كياني في ظلامٍ وضلال !
غاب عن عيني سر الكون والسر حيالي !

جوهر السرّ به يجري روجي وخيالي
وكلانا نفحة الأسرار من روح الكمال !

والذي أوجد في الشاعر أزهار المعاني
وتصاویر خيال . . . وتهاويل الأمانی
وحباه الوثبة الكبرى لما بعد الزمان
أوجد الشوك الذي غلّف أزهار الجنان !

والذي كل ثغر الغيد بالدر النضيد
وأذاب الفتنة الكبرى على ورد الحدود
سخر الترب ليطوي كل هاتيك الورود !
يا لهول الحسن . . . بين الدود في ليل اللحد !

كم بعثت الطرف يسري في تلافيف الظنون
علّاه يدرك سرّاً غاب عن تلك العيون
علّاه يعلم ما في الروح من سرّ دفين
علّاه يطفىّ أشواقى . . . فقد طال حنيني !

وتلفتُ الى الماضي . . . وما خلف الدهور !
أرقب العالم والأسرار من أفق الضمير !
علني أدرك ما قد غاب في طيّ الستور
غير أن الطرف والافكار ضلّت في الهجير !

ها هنا نور وخلف النور أُمّستار الظلام
وأنا حيّ بيومي ! وغدي طوع الحسام !
وستطوي الفنّ والفنان أهوال الزحام
وتعود الفتنة الكبرى هباءً من حطام ! !

الاعلام

في كتاب الامتاع

للاب انستاس ماري الكرملي

١ — ﴿تصدير﴾ كُنَّا كَتَبْنَا فِصْلًا فِي (الحيوان في كتاب الامتاع والمؤانسة) ، وبيْنَا أَسْمَاءَ تِلْكَ الْعَجَافَاتِ ، وَكَيْفَ صُحِّفَتْ ، وَذَكَرْنَا مَا يُقَابَلُهَا فِي اللُّغَى الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، إِضَاحًا لِلْحَقَائِقِ . وَكُنَّا وَعَدْنَا الْقَارِئَ أَنْ نَكْتُبَ فِصْلًا آخَرَ فِي تَصْحِيحِ مَا جَاءَ فِي ذِيَالِكَ السَّفَرِ الْقَدِّ مِنَ الْاَوْهَامِ النَّاشِئَةِ مِنْ رِاعِ النَّسَاجِ وَالنَّقْلَةِ فِي تَشْوِيهِ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْاَعْلَامِ . فَانْجَازًا لَوْعَدْنَا نَرُصِدُ الْيَوْمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مُحَاوِلِينَ تَحْقِيقَ هَذِهِ الْاَمْنِيَّةِ ، فَنَقُولُ :

٢ — ﴿مُسْكُوِيَه لَا ابْنَ مُسْكُوِيَه﴾ جَاءَ فِي الْمَقْدَمَةِ فِي الصَّفْحَةِ (ط) : «وَابْنَ مُسْكُوِيَه صَاحِبُ (تَهْذِيبِ الْاَخْلَاقِ) وَ(تَجَارِبِ الْاَمَمِ)» وَمِثْلُ هَذَا جَاءَ فِي حَاشِيَةِ الصَّفْحَةِ ٣٥ — وَأَمَّا التَّوْحِيدِي فَلَمْ يَذْكُرْهُ إِلَّا بِاسْمِ (مُسْكُوِيَه) — رَاجِعْ ص ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٤٨ و ١٣٦ . وَضَبُّهُ فِي ص ١٣٦ بَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَاسْكَانِ السَّيْنِ ، وَضَمِّ الْكَافِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ، فَيَاءٌ ، فَهَاءٌ . وَأَمَّا صَحِيحُ الضَّبْطِ فَهُوَ (مُسْكُوِيَه) أَيْ بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَاسْكَانِ السَّيْنِ ، وَفَتْحِ الْكَافِ وَالْوَاوِ وَاسْكَانِ الْيَاءِ ، وَفِي الْآخِرِ هَاءٌ مَكْسُورَةٌ ، كَمَا ضَبَطَهُ صَاحِبُ الْقَامُوسِ وَتَاجُ الْعُرُوسِ . — أَوْ أَنْ يُقَالَ : مُسْكُوِيَه أَيْ بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَاسْكَانِ السَّيْنِ ، وَضَمِّ الْكَافِ ، وَاسْكَانِ الْوَاوِ ، وَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَاسْكَانِ الْهَاءِ ، عَلَى مَا يَجْرِي مِثْلُ هَذَا الضَّبْطِ عَلَى طَرِيقِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَصَرَحَ بِهِ الشَّهَابُ ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ نَصْرُ الْهُورِينِي فِي كَلَامِهِ عَلَى حَمُويَةٍ

وَقَدْ ذَكَرَ يَاقُوتُ الْحَمُويُّ فِي مَعْجَمِ الْاَدْبَاءِ (طَبْعَةٌ مَرْجَلِيُوث ٢ : ٨٨) أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَلْقَبَ مُسْكُوِيَه . وَلَمْ يَقُلْ (ابْنَ مُسْكُوِيَه) وَكَذَا فَعَلَ الْأَقْدَمُونَ . فَكَانَ رَاحَةً الْمَسْكُ مَا كَانَتْ تَفَارِقُهُ . كَمَا قَالُوا سَيْبُويَه وَنَقَطُويَه ، إِلَى نَحْوِهَا . وَلَمْ يَقُولُوا ابْنَ سَيْبُويَه وَلَا ابْنَ نَقَطُويَه . فَتَأَمَّلْ

٣ — ﴿نَظِيفُ النَّفْسِ لَمْ يَكُنْ قَسًّا﴾ وَرَدَ فِي ص ٣٢ ذِكْرُ الطَّبِيبِ (نَظِيفِ) ، فَقَالَ النَّاشِرَانِ فِي حَاشِيَةِ تِلْكَ الصَّفْحَةِ فِي الْعَدَدِ ٦ مَا هَذَا نَصَهُ : «نَظِيفٌ هُوَ الْقَسُّ نَظِيفُ النَّفْسِ

الرومي ...» — قلنا: لم يكن نظيف قسّاً ، بل كان من جملة عامة الاطباء ، وكان اسمه (نظيف النفس الرومي ، على ماورد في ابن القفطي ص ٣٣٧ من طبعة الافرنج . فقرأها بعضهم (نظيف القس الرومي) كما في ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٣٨ ، وكما في مختصر الدول لابن العربي طبعة بيروت في ص ٣٠٥ وهذه عبارته : « ومنهم نظيف القس الرومي ، كان طبيباً عالماً بالنقل من اليوناني الى العربي » — فيجب ان تقرأ (نظيف النفس الرومي) في هذا الكتاب وفي كل موطن ورد هذا العلم

ومن صحف هذا الاسم ايضاً ، الاستاذ شريف يوسف في مقالة له في مجلة (المعلم الجديد) البغدادية ، قال فيها انه (نصيف بن يمن القسي) — والذي عندنا انه كان للطبيب (نظيف النفس) الرومي ، اسم رومي هو (كثرّوس) Katharos الذي معناه (نظيف النفس) فلما نقل اسمه الى العربي ، قال (نظيف النفس) ، كما فعل الالماني المستشرق (اوغست ملر August Müller) ، لما نشر كتاب (عيون الانباء ، في طبقات الاطباء) لابن ابي أصيبعة ، اذ ترجم اسمه فقال : (امرؤ القيس بن الطحان) ، وكما يفعل العلامة المستشرق المعاصر (فريتس كرنكو Fritz Krenkow) ، حينما ينشر مقالاته والكتب التي يُعنى بطبعها ، اذ يسمي نفسه (سالم الكركن كوري) ، وكما كنتُ افعل انا ايضاً ، حينما كنتُ اترجم اسمي اليوناني الى العربي بقولي : (الشيخ بعث الخضري) . وهناك آخرون كثيرون يترجمون اسماءهم الاجنبية الى لغة الضاد ، لأسباب علمية ، أو ادبية ، أو اجتماعية ، وكما فعل من تقدمنا من أبناء هذه اللغة في سابق العهد ، إذ سمّوا يوحنا فيلبس Ioannes Philoponos ، يحيى الحريص (المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ، المطبوع في ديار الافرنج ص ١٣ س ٢)

وقد نقل المؤرخون عن الطبيب (نظيف النفس) ان الناس كانوا يتطيرون منه ، ويولعون به ، اذا دخل الى مريض . وكان عضد الدولة يتطير به . فلم يكن نظيف سعيد المباشرة ، ولا منجح المعالجة في حياته ، وكان هذا الشؤم لازمه حتى بعد مماته ، إذ نرى اختلاف الناس في نقل اسمه الى يومنا هذا اختلافاً غريباً بين (نظيف النفس الآرمي) و (نظيف القس الرومي) و (القس نظيف النفس الرومي) و (نصيف بن يمن القسي) ولعل هناك غير هذه التصحيقات ونحن نهملها لورودها في مخطوطات ليست الآن بأيدينا ، وقد ذكر لنا منها : (الناطف الطبيب الرومي) و (الناطق الطبيب الرومي) الى نظائرهما من الكلام المشوهة

٤ — الصابي لا الصابي ❀ جاءت الصابي ، المهموز الآخر ، بالياء في ص ٦١ و ٦٢ و ٦٧ . وقد قال ابن خلكان في ١ : ١٨ من طبعة بولاق : « والصابي بهزمة آخره » لتمييز

من الصابي بالياء ، اسم فاعل من صبا يصبو ، بمعنى المائل الى الصَّبوة . وقد ذكر الشارحان في حاشية ص ٦٧ : دين الصابغة ولم يقولوا : « دين الصابية ، وهذا هو الفصيح الصحيح ، ودونه القبيح

٥ — * بلهور وبلهرا * ذكر (البلهور) في ص ٧٩ ، إذ قال المؤلف : « وكل بلهور كان بالهند » ، وقيل في الحاشية : « بلهور » : لقب بكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيبويه في كتابه ، وفسره السيرافي . وهذه العبارة هي عبارة تاج العروس بلا زيادة ولا نقصان . وذلك في ترجمة (ب ل ه و ر) ، ومن الغريب ان الناشرين لم يشيرا الى أنها كلمة الزبيدي وكنا نود أيضاً ان يذكر الناشران ما جاء من اللغات في هذا اللفظ . فقد قال المسعودي في مروجه (١ : ١٦٢ من طبعة باريس) « وتملك على ملك المانكير — وهي الحوزة الكبرى — ملك يسمى بالبلسهرى ، وهو أول ملك من ملوكهم ، يسمى بالبلهرى » — وفي ص ١٧٧ : « وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا [سنة ٣٣٢ للهجرة] البلهرى صاحب مدينة المانكير ، وأكثر ملوك الهند تتوجّه في صلاتها نحوه ، وتصلي لرسله » . وفي ص ١٧٨ : « وأما البلهرى ، فبين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخاً سنديّة ، والفرسخ ثمانية أميال » وأعاد ذكر البلهرى في ص ٣٧٢ و ٣٧٤ و ٣٨٢ من الجزء المذكور وأبو الريحان ذكر هذا اللقب هكذا (بلهرا) بألف قائمة في كتابه (الآثار الباقية)

ص ١٠٠ . وراجع مجلة الرسالة ٩ : ٦٢٢

وأما ابن خرداذبه فسماه (بلسهرا) باختلاف في الضبط ، اي بفتح الباء الموحدة التحتية ، واسكان اللام ، وفتح الهاء والراء ، وفي الآخر ألف قائمة ^(١) . وأما المسعودي فكان قد ضبطه بفتح الباء واللام ، واسكان الهاء ، وفتح الراء ، وفي الآخرياء غير منقوطة . وضبطه مثل هذا الضبط أيضاً في ص ٦٧ فقال : « وأعظم ملوك الهند (بلهرا) وتفسيره : ملك الملوك . ونقش خاتمه : مَنْ وَدَّكَ لَأْمَرٍ ، ولَمَّى مع انقطاعه

وسماه الاصطخري في كتابه (مسالك الممالك) في ص ١٧٣ من طبعة بريل أيضاً : (بلهرا) كما ضبطه ابن خرداذبه . وكذا ضبطه أيضاً ابن حوقل في ص ٢٢٧ من الطبعة الألمانية وجاء في معجم فارس الفارسي اللاتيني ما معناه : « بلهرا وبلهرى (بفتح فسكون) وأضعف منهما ، بلهار ، اسم ملوك من الدولة الولا بهيتية — واسم مدينة او كورة سميت بها الدولة المذكورة — وبلهرا وبلهرى من اللغة الايرا كرية ، وهي مشتقة من اسم المدينة للسماء (وأسبهي) ، وكذلك اسم الملك . وقد ذكرها بعضهم باسم (دلهررا) أو (دلهررا) ،

ثم صحفت بالوجه الذي تراه . هذا ما ذهب اليه العلامة الالماني كلدميستر Gildemeister في سفره المترجم بالشؤون الهندية في ص ٤١ — ٧٤٣

ويحسن بنا ان نذكر بعض الملاحظات بعد ان نقلنا هذه النقول . وأول ملاحظة نبديها هي ان العرب الاقدمين عربوا (البلهور) بوجهين : احدهما هذا الذي ذكره سيويوه في كتابه ، وهو أبعدهما عن الاصل المنقول عنه ، ولذا أهمله السلف كل الاهال ، بعد المائة الثالثة ولما كان التوحيدى من أبناء المائة الرابعة ، نظن ان صحة رواية هذا اللقب في كتابه هي (بلهرا) او (بلهرى) ، لا (بلهور)

والملاحظة الثانية تتعلق بالعبارة التي جاءنا بها صاحب التاج ، ونقلها الناشران بحروفها ، بدون أدنى اشارة الى قائلها الاول ، أي الزبيدي . مع ان تلك القولة تحتاج الى تصحيح . فقد قال السيد مرتضى ما هذا اعادة عبارته : « البلهور ، كغضنفر ، أهمله الجوهرى ، وقال الصغاني : هو المكان الواسع . ومما يستدرك عليه : كل عظيم من ملوك الهند بلهور . مثل به سيويوه ، وفسره السيرافي » انتهى

ودونك الآن عبارة سيويوه كما جاءت في كتابه (المطبوع في مصر سنة ١٣١٧ في ٢ : ٣٣٦ . والمطبوع في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢ : ٣٦٧) : « وتلحق [الواو] رابعة ، فيكون الحرف على مثال فَعْلَـوْل ، وهو قليل في الكلام . قالوا : كَنَهْـوَر وهو صفة ، وبلهور وهو صفة » فظهر من هذا ان سيويوه وزن بلهور وزان فعول لا فعئل ، الذي هو مثال غضنفر ، كما ذكر سيويوه هذا الميزان والموزون في كتابه عينه ، وفي الفصل عينه بعد صفحتين ولم تر في حاشية هذا الفصل تفسير السيرافي لهذا اللفظ ، مع ان كتابه الذي فيه تفسير هذا اللفظ ، واسمه (تقارير لآبي سعيد السيرافي) موجود في سائر الفصول ، إلا في هذا الفصل ، فانه لا يُرى ، مما يدل على نقصان في كتاب السيرافي هذا

ولنعد الآن الى اتمام كلامنا على عبارة التوحيدى ، فنقول : إن كانت هي نفس العبارة التي طبعت في هذا الجزء ، فكان يحسن بالناشرين ان يذكر (البلهرا) او (البلهرى) وينبها على اختلاف الروايات ، ولا سيما أنها من روايات المؤرخين ، ليظمن بال القارىء لان روايتهم هنا اوثق من رواية اللغويين الذين يحاولون دائماً رد الانفاظ ، حتى الدخيلة منها ، الى أصول قريبة من مألوف الكلام العربى ، واوزانه وصيغه

ومن يرد التوسع في معرفة هذه اللفظة ، وتاريخ وجودها في لغتنا ، فعليه بمطالعة معجمة الاسلام في مادة Balhara فانه يجد فيها ما يجزأه عن مطالعة كتب كثيرة ، ويصيب ما لم يصيبه في مقالنا هذا

٦ — ﴿صِبْهَيْدَ خَطَاً وَالصَّوَابَ إِصْبَيْهَيْدَ﴾ ضبطت هذه الكلمة في ص ٧٩ بفتح الصاد والباء الموحدة التحتية واسكان الهاء وضم الموحدة التحتية ، وفي الآخر ذال معجمة . ولم أجد هذا اللفظ بلا همزة في الاول ، ولا من ضبط الباء الثانية بالضم ، بل بالفتح ، كالباء الاولى . قال الزبيدي في مادة (ص ب ه ب ذ) : « الإصْبَيْهَيْدِيَّة ، بالضبط الماضي (اي بفتح الهمزة ، واسكان الصاد ، وفتح الموحدة ، وسكون الهاء ، ثم الموحدة التحتية المفتوحة ، وفي الآخر ذال معجمة) ، نوع من دراهم العراق ، نسبت الى إصْبَيْهَيْد . قال الازهري في الحُجاسي ، وهو اسم اعجمي ، وصاده في الاصل سين . قلت : وقد وقع في شعر جرير ، وقال : إنه معرب ، ومعناه : الأمير . كذا ذكره غير واحد من الائمة . والاصْبَيْهَيْدِيَّة : مدرسة ببغداد بين الدريين ، نسبت الى هذا الرجل . اه كلام التاج

قلنا : وقد ورد اللفظ اصْبَيْهَيْد على الوجه الفارسي في كثير من الكتب الخطية التاريخية فناء فيها : (إِصْبَيْهَيْد) بكسر الهمزة فسين ساكنة فباء مثناة مفتوحة فهاء ساكنة فباء موحدة تحتية فذال مهملة ، وقد جاءت معجمة ايضاً . — و (إِصْبَيْهَيْد) وهنا وردت الباء الثانية موحدة مضمومة — و (إِصْبَيْهَيْد) والباء ان هنا موحدتان مفتوحتان . والكلمة فارسية قديمة منحوتة من (إِسْبَه) أي جيش . و (بَد) أي رئيس . وهو لقب يلقب به كل من ملك طبرستان ، على ما في المعجم تبيان نافع التركي الفارسي . وكان في بدء أمره مرزباناً للساسانيين ثم انتحل لنفسه الملوكية . ويقال ايضاً (إِسْفَيْد)

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة (طبرستان) . « وكان بلاد طبرستان في الحصانة والمنعة على ما هو مشهور من أمرها . وكانت ملوك الفرس يولونها رجالاً يسمونه (الاصْبَيْهَيْد) ، واذا عقدوا له عليها ، لم يعزلوه عنها حتى يموت ، فاذا مات ، أقاموا مكانه ولده ، ان كان له »

وما جاء في الامتاع ص ٧٩ : « وكل صِبْهَيْد كان من اسكتان واردوان » غير صحيح لأن كلا من هذين الموضعين قرية ، والملك أو الاصبَيْهَيْد لا يكون على رأس قرية ، بل على رأس مدينة أو حاضرة . فيجب أن يبحث هنا عن اسمي مدينتين أخريين تكونان في طبرستان لأن الاصبَيْهَيْد لا يكون الا في طبرستان كما تقدم الكلام ، أو إلَّه تكونان في طبرستان نفسها ، فيجب أن تكونا قريبتين منها ونظهما (كيلان) و (رويان) كما في تقويم البلدان لأبي القداء أو ان تحرر العبارة هكذا : « وكل إصْبَيْهَيْد كان من طبرستان » فيستقيم المعنى والبنى وأما (صِبْهَيْد) بلا همزة في الاول فخطأ على كل حال لأنها لم ترد في الفارسية ولا في العربية في النصوص المجرودة اذ لم ينطق بها فصيح من الفرس ولا من أبناء عدنان

٧ — * اردشير لا ازدشير * وردت هذه الكلمة في حاشية ص ١٣٦ في هذه العبارة « شاعر من شعراء الوزير ابي نصر بن ازدشير ». وفي حاشية ص ١٣٧ في قوله « وسابور بن ازدشير » وفي ص ٦ من الفهرس في قوله « بهرام بن ازدشير » وفي ص ٧ من الفهرس المذكور في قوله « سابور بن ازدشير ». ولم يذكر (اردشير) بالراء الا مرة واحدة ولعلها من باب خطأ الطبع وذلك في حاشية ص ٤٣ حينما قال « هو أبو سعيد بهرام بن اردشير لكن لما أراد الفهرس . ان يعيد ذكره في هذا الموطن ، لم يذكره الا بالزاي ، كما أنه لما ذكره بالراء وهم ، فأصلح ذلك في هذا المكان اللائق به

والصواب انه بالراء ، لانه علم فارسي ، والاعلام تروى كما وردت ، لكن الجبهة من النسخ صحفوه بالزاي فقالوا : « ازدشير » متوهمين ان اللفظ منحوت من (ازد) وهي قبيلة من العرب ، ومن (شير) الفارسية ، ومعناها الاسد ، كأنهم يريدون ان يقولوا : ان فلانا لم يسم بازدشير الا لكونه (أسد الازد) !

وأردشير كلمة بهلوية الاصل ، منحوتة من (ارتا) أي شهير وجليل وكبير ، و (خشا) أي ملك ومملكة ، فيكون معنى الكلمة : الملك الاعظم ، لكن الفرس المحدثين جهلوا الاصل الحقيقي القديم ، وتوهموا الكلمة مركبة من (ارد) أي غضب . و (شير) أي أسد وقالوا ، معنى هذا التركيب : الاسد الغضوب . ويراد به الرجل الحقود أو القوي ، الجبار ، الشديد البطش

٨ — * نظر ان في فهرس الاعلام * وما يتعلق بالاعلام ، ان مفهرسها لم يلتفت الى تقييد مواطن العلم الواحد ، في جميع مساقطه من الكتاب . وأول هذا الاهمال باد في أنه لم يدون صفحات الاعلام الواردة في المقدمة ، ولعله تعمّد ذلك ، لان تلك الاعلام ليست من نص التأليف . قلنا : وما هذا بعذر ، فكان يحسن به ان يدونها ، وهي كثيرة ، ويود المطالع ان يعود اليها عند احتياجه الى مراجعتها

ونسي بعض الاحيان تقييد جميع موارد العلم الواحد ، فقد نسي مثلاً ذكر موارد (ابن زرعة) في ص (ط) و ٣٢ : ١ و ٩ — ٣٣ : ٨ و ٤٨ : ٢٣ —

ونسي ذكر مسكويه الوارد في ص ٢ من الفهرس . صفحة (ط) : ١٢ و ٣٢ : ١ و ١٦ — و ٣٥ : ٣ و ٣٦ : ٢ — و ٤٨ : ١٤ — و ١٣٦ : ٤ . ولم يذكر لاردشير رقم ص ٤٣ : ١٥ —

— وكذلك لم يذكر الصفحتين اللتين ورد فيهما ازدشير بالزاي ، وهما ١٣٦ و ١٣٧ — هذا ما بدا لنا على جناح السرعة ، ولعل هناك من يعثر على غير ما عثرنا ، لأن الانسان هدف النسيان

دراسة اللغة العربية

الفصحى في مدارسنا المصرية

لعبد الله امين

ان الغرض من درّس اللغة الفصحى في المدارس هو اقدار الدارسين على التكلم والكتابة بها وعلى القراءة الصحيحة وعليه نخير الطرق لتحقيق هذا الغرض هو أن تدرّس ألفاظ اللغة المفردة الفصيحة الكثيرة الشيوع وأدبها الجيد القديم والحديث من شعر ونثر دراسة فهم وحفظ وموازنة وتحليل ونقد ومحاكاة على النحو الآتي

المرحلة الاولى من التعليم العام

المرحلة الأولى من التعليم العام هي عندنا المدارس الأولية والمكاتب العامة والمدارس الابتدائية ، وإني لمن أشد المتحمسين لادماج المدارس الأولية والمكاتب العامة في المدارس الابتدائية وجعلها جميعاً مدرسة واحدة قومية خالية من اللغات الأجنبية . وأرى أن يكون تدريس اللغة العربية في هذه المرحلة على النحو الآتي :—

يختار لتلاميذ هذه المرحلة طائفة ملائمة لمداركهم من ألفاظنا العامية المحرّفة وتُقارن بأصولها الفصحى الصحيحة وتوزع توزيعاً ملائماً على سنوات هذه المرحلة الدراسية لدراستها وحفظ الصحيح الفصيح منها والتدرب على التعبير به في الكلام والكتابة بدل التعبير فيهما بالألفاظ العامية المحرّفة . ويختار كذلك لتلاميذ هذه المرحلة مختارات من الأمثال والحكم والأغاني النثرية والشعرية العامية وترد ألفاظها العامية المحرّفة الى أصولها الفصحى الصحيحة ويصحح ما فيها من خطأ في الأسلوب وتوزع هي الأخرى على سنوات الدراسة على أن تدرّس دراسة فهم وحفظ وموازنة وتحليل ونقد على قدر مداركهم وعلى أن يدرّب التلاميذ على التعبير بها في الكلام والكتابة ويختار كذلك طائفة جيدة كثيرة من جيد الشعر والنثر العربي الفصيح الحديث ومن النوادر الحسنة وتدوّن في كتب مشكولة شكلاً كاملاً وتشرح ألفاظها وأساليبها في صلب الكتب لا في هوامشها شرحاً أدبيّاً واضح المعنى واضح الكتابة ملائماً

لمدارك هؤلاء التلاميذ لتدريب التلاميذ على دراسة الأدب وفهمه وتذوقه وعلى التعبير عن معانيه بعبارات شفوية بمحاكاة نثره وتنويع أساليبه وبنثر شعره ويُطالبون أحياناً بكتابة عباراتهم الشفوية على أن تُعَدَّ هذه الكتابة تدريباً على الإنشاء

فتكون هذه الكتب الادبية مادة المطالعة الجهرية والمحاضرة والإنشاء الكتابي . على أن يكون بجانب هذه الكتب قصص أدبية وكتب حديثة للمطالعة الصامتة على نحو الكتب المقررة للمطالعة الآن ، وهي كتب تشتمل على مباحث عامة في المعلومات العامة المحيطة بالاحداث وفي التاريخ والجغرافية والادب وغير ذلك

وتُقتصر دراسة اللغة العربية في هذه المرحلة على هذا القدر من الدراسة فلا تشغل أذهان تلاميذها الغضة بقواعد لا تقوى على إدراكها ولا على تطبيقها ولا تشغل كذلك بدراسة لغة أجنبية لتفرغ أدمغتهم لادراك الفصحى وتذوقها وإساعتها وإشاعتها في المنزل والمجتمع فان هؤلاء الأطفال خير رسل الاذاعة والنشر

المرحلة الثانية من التعليم العام

يختار لتلاميذ هذه المرحلة من الالفاظ والأساليب العامة المحرفة مقدار صالح وتقارن بأصولها الفصحى الصحيحة وتوزع توزيعاً ملائماً على سنوات هذه المرحلة الدراسية (مرحلة الثقافة العامة) لدراستها وحفظ الصحيح الفصيح منها والتدريب على التعبير به في الكلام والكتابة بدل التعبير فيهما بالالفاظ والأساليب العامة المحرفة . ويختار لها مع ذلك طوائف صالحة من جيد النثر والشعر العربي الفصيح لكل عصر من عصور الأدب وتشرح شرحاً أدبياً ملائماً لمدارك هؤلاء التلاميذ وفي أصلاص الكتب وبحرف كبير مشكول كالأدب نفسه على أن تستمر دراسة هذا وذلك في جميع سنوات الدراسة ويستمر معها تدريس تاريخ الادب العربي كله على أن يوزع على هذه السنوات توزيعاً عادلاً وأن يكون موجزاً كل الإيجاز ولا يدرس في هذه المرحلة من علوم اللغة العربية إلا النحو والصرف في كتب عددها على قدر عدد سنوات هذه المرحلة على أن يراعى في وضعها أن يكون كل منها جامعاً للعلمين وعلى أن يكون الثاني مشتملاً على ما في الاول وزيادة والثالث مشتملاً على ما في الثاني وزيادة وهكذا على نحو كتب القواعد للرحومين حنفي بك ناصف وشركائه مع العناية بالتمثيل بأمثلة عصرية ولا يدرس من علوم البلاغة شيء إلا في المرحلة التوجيهية لطلاب الآداب

ويختار لتلاميذ هذه المرحلة كتب للمطالعة الناطقة والصامتة من الادب القديم أو على غرارهِ ومن الادب الحديث ملائمة لمداركهم على اختلاف أسنانهم على أن تكون هذه الكتب مادة القراءة والمحاضرة والكتابة وعلى أن تكون الالفاظ المفردة المختارة هي الفاظ الادب

المصري المصحح والعربي الفصح والمطالعة وعلى ان تكون موضوعات الأدب والمطالعة هي هي موضوعات المحادثة والكتابة (الانشاء)

وفي دراسة الأدب نثره وشعره في هذه المرحلة وفي الفرق الاخيرة منها يحسن أن يناقش التلاميذ في المسائل الصرفية والنحوية الغامضة وفي المسائل البلاغية الواضحة كالتشبيهات والمجازات والكنيات الواضحة وكالتقديم والتأخير والقصر

وفي دراسة الأدب اذا ورد في ترجمة من التراجم ذكر للبديع فليس من الصعب شرح الواضح من محسناته كالجناس والاقتباس والتضمن

والقصد من ذلك تشويق التلاميذ الى دراسة هذه الفلسفة اذا بلغوا المرحلة التي تدرس فيها وهي المرحلة التوجيهية ومعرفة مقدار استعداد المتعلمين لهذه المرحلة التالية . ولا بد في هذه المرحلة الثانوية من الاختصار على لغة أجنبية واحدة

موازنة بين النظامين

إن بين النظامين النظام القائم الآن في المدارس والنظام المقترح في هذا المقال اتفاقاً من وجوه واختلافاً من وجوه

فأما وجوه الاتفاق بينهما فهي ان كلا منهما يشتمل على دراسة الغاية والوسيلة ومقياسها . فأما الغاية فهي القراءة والكتابة والمحادثة باللغة الفصحى . وأما الوسيلة الى هذه الغاية فهي مفردات اللغة وأدبها من نثر وشعر . وأما المقياس فهو فلسفة اللغة او علوم العربية من صرف ونحو وبلاغة وما اليها . فلا ينبغي حينئذٍ لأخصار هذه الفلسفة ان يجزئوا من النظام المقترح لأنه لا يزال محتفظاً بعمدة النظام القائم وهو دراسة علوم العربية او فلسفتها ولكن مع توزيعها توزيعاً عادلاً مثمرأ

وأما وجوه الاختلاف بينهما فهي في ان روح النظام القائم هو دراسة علوم العربية او فلسفة اللغة او المقياس التي تعرف بها وجوه الحسن والجمال فيها فالعناية فيه منصبه كلها على دراستها . وقد أثبتت التجارب ان هذه الدراسة لا تجدي في تحصيل اللغة الفصحى ولا يبق من قواعدها في أدمغة دارميتها شيء بعد تركهم معاهد الدراسة أما ما عداها من غاية ، وهي تدريب التلاميذ على القراءة والكتابة (الانشاء) والكلام بالفصحى ، ومن وسيلة ، وهي دراسة اللغة نفسها من ألفاظ مفردة وأديبات نثرية وشعرية فليس ، لهما من عناية واضعي المناهج إلا بقدر ما لهما من عناية المتعلمين والمعلمين وهو التبرم بهما والاعراض عنهما

وإن روح النظام المقترح هو الاعتماد في دراسة هذه اللغة الشريفة قبل كل شيء على دراستها نفسها بدراسة ألفاظها المفردة وأدبها الرائع من نثر وشعر مع العناية باللغة والأدب

المصري الحديث والسمو به الى مرتبة اللغة الفصحى ثم التدريب على الغاية من دراستها وهو القراءة والكتابة والتخاطب بها . أما دراسة فلسفتها وهي علوم العربية او المقاييس التي تعرف بها وجوه الحسن والأداء في اللغة في المرتبة الأخيرة بعد ان يتذوق المتعلمون اللغة ويتدربوا على قراءتها وكتابتها قراءة وكتابة سليمتين من الخطأ وعلى التخاطب بها ، ويشناقوا الى تعرف وجوه الجمال فيها ويستأهلوا الادراكه

ومن وجوه الاختلاف بين النظامين ان ألفاظ اللغة المفردة التي تختار للدراسة في النظام القائم تختار اختياراً سيئاً وذلك بأن تختار أبواب برمتها من كتب اللغة المرتبة على وفق المعاني مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي وكتاب الالفاظ الكتابية للهمداني . وفي هذه الابواب من الالفاظ الغث والسمين والحلي والميت والفصيح والمستكره وما يقبح ذكره وما تمس إليه الحاجة وما لا تمس إليه الحاجة وهذا اختيار من شأنه ان ينفر المتعلمين والمعلمين منه ويصرفهم عنه . وإن المعلمين والمتعلمين ليرون في دراسة هذه الابواب إضاعة للوقت والجهد بدون ثمرة وليس أبعث على الانصراف من شعور الاستغناء والازدراء الذي يشعر به دارس هذه الابواب

أما في النظام المقترح فان دراسة الالفاظ تعتمد على الالفاظ الحية التي لا يستغنى عنها في كل لحظة من لحظات حياتنا وفي كل مكان نعشاه وهي ألفاظنا العامية المحرّفة بردها الى أصولها الفصحى وعلى العبارات النثرية والشعرية العامية بعد اصلاحها وهذه وتلك هي التي تكون المزاج العقلي والنفسي فينا فلذا حصل التلاميذ من الالفاظ والعبارات العامية المصححة القدر الكافي ضموا اليها طائفة صالحة من الالفاظ العربية من كلمات الأدبيات المختارة ومما يختاره مجمع فؤاد الاول للغة العربية

ومن وجوه الخلاف بين النظامين في الادب ان المختار من الادب في النظام القائم يتغير كل سنة ومنه ما يسمى محفوظات للحفظ وما يسمى نصوصاً للدراسة ثم هو مشروح شرحاً موجزاً في هوامش الكتب وبخط دقيق غير مشكول كأنه شيء لا قيمة له لا يقرأ ولا يدرس إلا على أنه ليس مقصوداً لذاته . والمراد في النظام المقترح ان تختار الأدبيات من الشعر والنثر لكل مرحلة وتشرح شرحاً أدبياً ملائماً في صلب الكتاب ويقصد لذاته فيدرس الشرح كما تدرس الأدبيات ثم يترك للتلاميذ اختيار ما يحفظونه على وفق أذواقهم وميولهم فلا يقيدون منه إلا بأعداد البيوت والسطور لا فرق في الدراسة بين ما يحفظ وما لا يحفظ ومن وجوه الخلاف بين النظامين في المطالعة أن الكتب المختارة لها في النظام القائم كتب تشتمل على مباحث في معارف عامة بلغة سهلة واضحة لتدريب التلاميذ على القراءة

الجهرية وأن الكتب المرادة في النظام المقترح كتب تشتمل على أدبيات نثرية وشعرية وطرائف من النوادر الأدبية مشروحة شرحاً أدبياً على نسق الكتب القديمة كالكمال والأمالى على أن تحرر من عيوبها كالاستطراد الطويل وكذكر أشياء لا ينبغي للتلاميذ أن يقرأوها وأن يكون بجانبها قصص راقية وكتب في مباحث عامة عصرية ككتب المطالعة الحاضرة للقراءة الصامتة. فكتب النظام الحاضر لتدريب الألسنة على القراءة الصحيحة والكتب المقترحة لتدريب الألسنة على القراءة الصحيحة وتدريب المدارك على فهم اللغة وأدبها

ومن وجوه الخلاف في المحادثة أنها في النظام القائم مقيدة في المرحلة التي هي فيها وهي المكاتب العامة بموضوعات معينة تجعل محل محادثة ويراد في هذا النظام المقترح أن تكون المحادثة في مباحث كتب المطالعة لغرضين أحدهما ألا يكون للمحادثة درس معين تراعى فيه وتهمل في غيره بل تراعى في كل درس على أنها عنصر من عناصر التدريب الخطيرة التي يجب رعايتها دائماً لا في حصص محدودة في الأسبوع، والآخر أن تدرس كتب المطالعة دراسة وافية بالرجوع إليها حين القراءة وحين المحادثة

ومن وجوه الخلاف في الانشاء أن دراسة الانشاء في المدارس الآن كالجزء أثمها أكبر من نفعها لأن ما يجنيه المتعلمون من دراستها لا يساوي عشر ما ينفقه فيها المعلمون والمتعلمون من أوقات وجهود وما تنفقه الدولة من مال. إن هذه الدراسة لا تكاد تجدي فلاحاً تجعل غير الصالح للكتابة كاتباً ولا تجعل الصالح لها بارعاً في الكتابة إن هي إلا آفة التدريس الكبرى التي يشقى بها المتعلمون والمعلمون ويشغلون بها عن الدراسة المجدية وتذوق اللغة إذ أن المدرس في التعليم الثانوي يعلم ثلاثة فصول فيغرق في بحر لا ساحل له من كراسات الانشاء والتطبيق فكيف يجد وقتاً وجهداً لبحث مسألة من مسائل العلم بحث تحقيق وقلما تخلو الدراسة من مسائل تعرض لا يطمئن لها القلب إذا لم يقلها بجحاً واستقصاءً

قد يراد بتدريب التلاميذ على الانشاء تدربهم على الكتابة الأدبية أي النثر الفني. والنثر الفني كالشعر هو اللغة المثيرة للعواطف القائمة على ركنين أحدهما معنى شريف سام والآخر ألفاظ وأساليب رصينة فخمة بحيث تثير عاطفة من العواطف كالفرح والحزن والرضا والغضب وغير ذلك

وهذا الضرب من الكتابة غير ميسور لجمهرة المتعلمين من وجوه. الوجه الأول: أن هذا الضرب يكون في الرسائل الإخوانية وقد ماتت هذه الرسائل في هذا العصر الحديث عصر العلم والسرعة وإن بقيت فانها لا تستحق أن نقيم لها الدنيا ونقعد بها فندرّب جميع أبنائنا على

الكتابة فيها . الوجه الثاني : ان النثر الفني يعتمد أكثر ما يعتمد على ذوق موهوب لا مكسوب كالشعر فحالة كسبه عبث . والوجه الثالث : أن هذا الضرب من الكتابة الأدبية لا يمكن أن يدرك بدراسة النحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها من علوم فلسفة اللغة التي جعلناها كل شيء في دراسة الفصحى ، وانما يدركها كل من قتل الادب درساً وفهماً وحصل منه المقدار الكافي للاديب كأن يحفظ عشرة آلاف بيت وسطر من البيوت والسطور البليغة

وقد يراد بالانشاء ان يدرّب التلاميذ على الكتابة في الشؤون العامة التي تشغل بال الفكرين والقادة والزعماء من اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية وغير ذلك . وهذا الضرب من الكتابة يحتاج الى أن يضرب الكاتب بسهام صائبات في دراسة الشؤون الاجتماعية وأنسى يكون لأحداث المدارس وهم سجناء الدراسة الشاقة الممضة وآلات في أيدي الحداثة والصبا أن يكونوا على علم بهذه الشؤون وان يكتبوا فيها كتابة تفيض عليهم الدربة على اللغة العربية الفصحى

إن اوقات تعليم الانشاء في المدارس لتضيع في تزويد التلاميذ بمعارف تافهة يكتبونها وقد يزيد القليل من التلاميذ القليل من المعاني التي لا قيمة لها هي الأخرى وذلك بكد الذهن وبالجهد والمشقة . وهذه الطريقة لا يمكن إدراك الغرض المقصود من تعليم الانشاء وهو تدريب التلاميذ على التعبير عما في أذهانهم من المعاني بعبارات سليمة من الخطأ والتعقيد مرتبة ترتيباً منطقياً

وخير من هذا وذاك الف مرة الطريقة المبينة للانشاء في هذا النظام المقترح وهو ان يقتصر فيها على شرح التلاميذ النصوص الأدبية وحلّ المنثور ونثر الشعر منها وكتابة موضوعات دروس المطالعة بعد ان يقتلوها درساً وبعد طي كتبها . والله الهادي الموفق للصواب

سمعت بأذن قلبي صوت عتبٍ
سمعت الضاد قائلة : أأنفي
ألست أنا التي بدمي وروحي
بنيات الحمى بين أني
ويا فتيانهُ ! هبوا لنصري
إذا ما القوم باللغة استخفوا
وما دعوى حمى حرٍّ منيع
وما دعوى حمى حرٍّ منيع

له رقراق دمعٍ مستهلٍ
وهذا موطني والأهل أهلي
غذت منكم وأنمت كل طفل
عزيزة أمي لم ينس فضلي
أرضي منكم جهد المقلّ
فضاعت ، ما مصير القوم ، قل لي
بلا لغة وملكٍ مستقل

(خليل مطران)

زيلندا الجديدة

إن الظاهرة التي تستأثر بالعباية عند ذكر زيلندا الجديدة إنما هي ظاهرة الانشاء العمراني والارتقاء الاجتماعي السريعين الصحيحين . فقد اخترلت زيلندا الجديدة في نحو قرن قصة العمران الحديث التي استغرقت في اوربا ألفي سنة أو تزيد . فالحياة في زيلندا الجديدة كانت في أوائل القرن الماضي إلى قرب منتصفه حياة العصر الحجري ، فإذا هي اليوم أتم ما تكون استكمالاً لمقومات الحضارة الحديثة في الصناعات والمخاطبات والمواصلات والصحة والتعليم والنظم السياسية الديمقراطية والاحوال الاجتماعية

وقد احتفلت زيلندا الجديدة نفسها ، ومعها جامعة الأمم البريطانية ، من سنتين بانقضاء قرن كامل على حدث خطير في تاريخها . ذلك الحدث هو معاهدة وايتنجي Waitangi وبمقتضاها اتفق سكان تلك الجزائر الأصليون ، واسمهم الموري Maori مع الانكليز على جعل زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، ثم مضت في سبيل الارتقاء حتى غدت - بحسب قانون وستمنستر - أمة مستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية هذا الارتقاء الطرد لم يكن خلواً من عقبات تعترض سبيله . ولكن كل عمل ملائمة في حياة الافراد والجماعات ، يحتاج إلى بذل وتضحية ويقتضي شيئاً من الألم ، وقد خرجت السلالتان الانكليزية والمورية من هذه الحوادث ، والصلة بينهما موثقة لأنها تحولت إلى صلة الفهم المتبادل والاحترام لخصائص الفريقين

وجميع الذين زاروا تلك البلاد في العهد الحديث يعترفون بأن أول ما يسترعى نظرهم فيها ، هو التعاون الودي بين السلالتين وبند الشعور بتفوق احدهما على الأخرى وتعاضلها . فقد حلت المشكلة بالتفاهم والتعاون وحسن النية . فالحاكم مفتحة ابوابها أمام سكان زيلندا الأصليين سواء أمدعين كانوا أم مدعى عليهم ، والعدل يجري بالقسطاس على الجميع . وجميع وسائل المواصلات مهيأة لهم لا فارق بينهم وبين الغربيين الذين نزلوا في تلك البلاد . ومقاعد

المسارح مباحة لهم يجلسون فيها جنباً الى جنب مع اخوانهم في هذا الوطن الجديد. وكذلك مناصب الحكومة ومقاعد النيابة والوزارة . ولعل أدل الدلائل على هذا التصافي ان صفوف الجيش النيوزيلندي تجمع بينهم فتطبع هذه الصلة بطابع الدم . وقد نزل فريق مشترك منهم مصر في الحرب العالمية الماضية ثم جاء فريق آخر الى الشرق الأدنى من سفنين عندما عقدت معاهدة وايتنجي من مائة سنة وستين كان عدد سكان المهاجرين الانكليز نحو الفين . فزاد عددهم الى أقل قليلاً من مليون ونصف مليون وسلالة الموري في زيلندا الجديدة آخذة كذلك في الزيادة لان الدولة هناك تعنى عناية خاصة بتوفير أسباب الصحة والنمو لها . ففي سنة ١٩١٦ كان عددهم نحو خمسين ألفاً فبلغ سنة ١٩٢٨ خمسة وستين ألفاً وكان قبل سنتين الى ثلاث اقل قليلاً من ٩٠ ألفاً

أما الصورة التي تخرج بها من وصف البلاد الجغرافي، فهي صورة جنة من جنات الارض فزيلندا الجديدة جزيرتان كبيرتان في المحيط الهادي الجنوبي، موقعهما في القسم الجنوبي من الكرة الارضية كواقع بر الاناضول واليونان وايطاليا في القسم الشمالي منها من حيث خط العرض . ولو كانت ايطاليا قائمة وحدها لكانت في النصف الشمالي من الارض كزيلندا الجديدة في النصف الجنوبي . طول هاتين الجزيرتين معاً من الشمال الى الجنوب نحو ١١٠٠ ميل ومساحتهما اكثر من مائة الف ميل مربع او مثل مساحة ايطاليا . وتتبعهما جزائر اخرى صغيرة ومجموع مساحة الجزيرتين الكبيرتين والجزائر الصغيرة التابعة لهما ١٠٤ آلاف ميل مربع يقابلها ١١٠ آلاف ميل مربع لايطاليا وصقلية وسردينيا والجزيرتان كثيرتا الجبال وفيهما كثير من الانهر والبحيرات والسهول والحراج . وكانت ارضهما كلها مغطاة بالحراج قبل ان يدخلها الاوربيون ويعملوا الفأس فيها، ولا تزال حراجها كثيرة واشجارها كبيرة ضخمة صلبة الخشب تسمى الجبال في الجزيرة الجنوبية جبال الالب الجنوبية ويبلغ ارتفاع اعلاها ١٢٣٤٩ قدماً عن سطح البحر، والثلج يغطي قن اكثرها على مدار السنة، وتنحدر منها انهار جرداو ثلاث كما تنحدر من جبال الالب في اوربا . ولكن انهر زيلندا الجديدة اكبر وهناك اودية عميقة وغدران كثيرة وشلالات يندر وجود مثلها في المسكونة في جمال موقعها ونخامة منظرها

وقد لقينا جماعة من أهلها من الأوربي الأصل ومن الشرقيين الذين هاجروا اليها او زاروها من استراليا، فسمعناهم يتغنون بمدحها ويقولون انه لا أجل منها بقعة ولا أطيب من هوائها هواء، وان مناظرها مثل مناظر سويسرا بل بعضها أجل وأغرب . ففي الجزيرة

الشمالية منطقة بركانية فيها بحيرات حارة الماء ماؤها يغلي غلياناً ويطبخ به الطعام لشدة حرارته ، وفي الجنوبية جبال شاذخة تحيط ببحيرات بلورية الصفاء ، وعلى ساحل البحر خليجان صافية الماء تطل عليها شواحق وعلى مقربة منها شلال منحدر ارتفاعه ١٩٠٠ قدم

كشف هذه الجزائر في منتصف القرن السابع عشر سنة ١٦٤٢ وكشفها رحالة هولندي يدعى ابل تسمان ، واليه تنسب جزيرة تسمانيا القريبة من استراليا . وهو الذي سماها زيلندا الجديدة ، ومعنى الاسم الارض البحرية الجديدة . ولكن ذكرها ظل مطوياً وأخبارها مجهولة ، حتى زارها كوك الرحالة الانكليزي في سنة ١٧٦٩ وهي السنة التي نفتحت العالم بعقريين من عباقرتها العظام نبوليون بونابرت ، ومحمد علي الكبير . ثم تردد كوك عليها مراراً وطاف حولها وامتلكها باسم الملك جورج الثالث ملك الانكليز ، وأدخل اليها بعض الحيوانات لتربيتها فيها وبعض المزروعات النافعة كذلك . ووجد سكانها الاصليين — وهم الموري — أصحاء الابدان يأبون الضيم ويحمون حمامهم ويدودون عن حوضهم . وأرجف عنهم أنهم يأكلون لحوم أمراهم فهاهم البحارة وانقطعوا عن الذهاب الى تلك البلاد من حين زارها كوك الى سنة ١٨١٤ وحينئذ دخلها واعطى يدعى ماديسون لأجل دعوة أهلها الى المسيحية وبنى كنيسة وتبعه غيره فلم تمض ثلاثون سنة حتى تنصر السكان جميعهم وجعل الأوروبيون يفدون اليهم للتجارة . وفي سنة ١٨٤٠ وقع الحادث التاريخي الذي أشرنا اليه عندما اجتمع شيوخ الموري وزعمائهم وقبلوا عقد معاهدة مع الكابتن هوبسون ممثل الملكة فكتوريا . وعندما عرضت المعاهدة أعلن الكابتن هوبسون ان الملكة تعرض عليهم جميع حقوق رعاياها البريطانيين ومزاياهم . ومما يدل على استقلال الموري على الرغم من تأخر حياتهم الاجتماعية حينئذ ان ترجمة المعاهدة تليت عليهم فتناقشوا فيها طويلاً قبل توقيعها . وبمقتضاها أصبحت زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية

ومما يستوقف النظر في هذه المعاهدة وما تلاها ان الحكومة البريطانية اعترفت بامتلاك السكان الاصليين لجميع الاراضي التي قالوا إنها لهم ولم تؤخذ منهم أرض إلا ما تنازلوا عنه بملء اختيارهم أو ما باعوه بالثمن

ولكن البلاد واسعة جداً ولا سيما اذا قيست بعدد سكانها ، فمساحتها أكثر من ستة وستين مليوناً من الأفدنة ، ثلثاها أو أكثر من الثلثين قليلاً اراضٍ زراعية ومراعٍ خصبة ، وسكانها الاصليون الى قبل سنتين لم يزيدوا على تسعين ألفاً وسكانها الذين من أصل اوروبي لا يبلغون الا مليوناً ونصف مليون على الأكثر

ويضاف الى هذا ان الانكليز الذين هاجروا اليها جاءوها على الغالب من أسر عريقة . جاءوها اولاً اما تجاراً فاستوطنوا ، واما مغامرین فاستقروا ، واما لأن الأرض القديمة ضاقت بهم فطلبوا حياة جديدة في أرض جديدة فوجدوها هنا . ففي زيلندا الجديدة نخبة من السلالة الانكليزية الكلتية Anglo-Celtic قطعت البلاد بقيادتها ومعاونة سكانها الاصليين شوطاً بعيداً نحو مثل المعيشة القومية الكاملة . فالصحة فيها متوفرة الاسباب . اقليم معتدل وعناية تامة . ان معدل وفيات الاطفال فيها أقل منه في أي بلد آخر في العالم . واحتمال طول الحياة فيها يبلغ ٦٣ سنة وهو كذلك أطول معدل في العالم . واذا قيست منتجاتها الزراعية بمساحتها صح عليها القول بأنه « معمل ألبان الامبراطورية » . واذا نسب عدد ما فيها من الأغنام الى مساحتها فان معدلها يفوق معدل استراليا تسع مرات . انك تجد ربع أغنام العالم في هذه البلاد الصغيرة . ولعلها كانت أسبق الامم الى منح النساء حق التصويت والانتخاب . فقد منحن حق التصويت سنة ١٨٩٣ ثم منحن حق الانتخاب لعضوية مجلس النواب سنة ١٩١٩ . ثم ان الحكومة تنفق كل سنة نحو ثلاثة ملايين جنيه على التعليم في شتى انواعه ، مع ان عدد السكان لا يكاد يبلغ مليوناً ونصف مليون . حالة انها انفتحت على الدفاع البحري والبري في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ أقل من مليون قليلاً . وللتعليم في زيلندا الجديدة ان يفاخر العالم بعقريه عامية من الطبقة الاولى في العصور الحديثة لأنه أنجب ارنست رذرفورد الذي رحل الى انكلترا بعد تخرجه وتوسع في دراسة العلوم الحديثة في كمبرج ثم درّسها في كندا ومنشستر فعدا عند عودته الى كمبرج استاذاً للطبيعة واكبر زعماء الباحثين العصرين في أسرار الذرة وتركيبها

موارد البلاد الاقتصادية عظيمة . وهي زراعية في المقام الأول . الماشية والاغنام فيها كثيرة تعد بعشرات الملايين . وصناعة الالبان متقنة متسعة . وجزء الصوف السنوية تضعها جنباً الى جنب مع استراليا في مقدمة بلدان العالم انتاجاً للصوف . وتبلغ قيمة ما تصدره من الصوف والزبدة واللحم المثلوج والحب ٣٥ مليوناً من الجنيهات كل سنة او تزيد وأشهر معادنها الذهب ، بل ان البحث عن الذهب فيها كان من عوامل زيادة سكانها في النصف الثاني من القرن الماضي ، ومع ان انتاجه قل الآن عما كان عليه . الا ان ما استخرج منه في سنة ١٩٣٤ بلغت قيمته مليوناً وثلاث ملايين من الجنيهات ومنها الفضة والفحم ولكن الذي يهمنا في زيلندا الجديدة ويعيننا أكثر مما تعيننا مواردها الطبيعية هو بعض العبر المستخرجة من حياتها الاجتماعية . فثمة اولاً عناية دقيقة شاملة بالصحة الفردية

والعامة . حتى غدت قلة معدل الوفيات بين جمهور الشعب ، وبين الاطفال ، مضرب المثل في دوائر العالم الصحية . ثم هناك المعاشات التي اقرتها الحكومة للشيوخ والعجائز والارامل وطوائف من العمال والمحاربين القدماء . ففي قانون صدر سنة ١٨٩٨ وعُدل مراراً بعد ذلك يعطى كل نيوزيلندي توافرت فيه شروط معينة معاشاً سنوياً قدره ٤٣ جنيهًا اذا كان دخله السنوي لا يزيد على ٤١ جنيهًا . ففي بلد هذا نظامه يجب أن يكون مستوى المعيشة عاليًا حتمًا . ثم هناك نظام خاص لاعانة الاطفال اذا كان دخل الاسرة التي يولد فيها الطفل غير كاف للعناية به على أوفى وجه وتنشئته اطيب تنشئة ، ولهذه المسائل قواعد ولوائح تجعل التشريع الاجتماعي في زيلندا الجديدة من أرقى وأوفى ما عرف في العصر الحديث

وقد بلغ عدد الذين استفادوا من المعاشات بأنواعها التي توزعها الحكومة طبقاً لقوانينها ولوائحها من شيوخ وعجائز وأرامل ومعدنين وغيرهم ٨١ ألفاً — من مليون ونصف مليون — في سنة ١٩٣٥ وبلغ مجموع ما نالوه في تلك السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ، ومجموع ما تنفقه الحكومة على المعاشات والتعليم والصحة يبلغ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات من ميزانية قدرها ٢٥ مليوناً أي ان ثلث الميزانية ينفق في هذه الاغراض الاجتماعية النبيلة

وعلاوة على ما تقدم كانت زيلندا الجديدة أول بلد في العالم حاول ان يفض المنازعات الخاصة بعمال الصناعة بواسطة المحاكم فعرفت بوصف البلد الذي لا يحدث فيه اضراب

أما نظامها السياسي فيلخص في أنها ظلت مستعمرة بريطانية الى سنة ١٩٠٧ عندما تحولت من طبقة المستعمرات الى طبقة بلاد الدومنيون المستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية ففازت باستقلالها الداخلي وتدير شؤونها . وبعدما وضع مبدأ قانون وستمنستر في سنة ١٩٢٦ وأقر في قلبه القانوني النهائي في سنة ١٩٣١ غدت زيلندا الجديدة ، كاستراليا وكندا وجنوب أفريقيا ، دولة مستقلة بكل معنى الكلمة لا يربطها بالمملكة المتحدة « أي انككترا وويلز واسكتلندا وشمال أرنلدا » وسائر بلدان الدومنيون الا رابطة الولاء للتاج البريطاني مثلاً شخصياً في الحاكم العام . فعلاقة الحاكم العام بحكومة البلاد ومجلسها النيابي ، كعلاقة الملك في لندن بحكومة انككترا وبرلمانها ، أي أنه يعمل بمشورة حكومته المؤيدة من حزب الاكثرية في البرلمان . وليس لبريطانيا او لاحد بلدان الدومنيون سلطان على بلد آخر منها في شأن ما من شؤون السياسة الداخلية والخارجية

تأثير الغذاء في الطباع

للدكتور عبده رزق

إن تأثير الطعام في صحة الانسان العامة لا يقتصر على المقدار بل يشمل النوع كذلك . وفي ذلك قال الفيلسوف بورفير يوس Porphyre (٢٣٣ — ٣٠٤ م) : « ليس بين النباتيين والذين يتناولون الاطعمة البسيطة نشاهد الطغاة واللصوص والسفاحين ، بل بين آكلي اللحوم . وقد دلنا الاختبار على ان الاطعمة النباتية هي أقدر وأجدر من سواها ليس للحصول على صحة عمومية جيدة فحسب ، بل أيضاً على ادراك صحيح وعقل متزن » وكتب في الموضوع نفسه الفيلسوف الروماني سنكا Seneca (٤ ق.م — ٦٥ م) ما ترجمته : « وأنا أيضاً قد تركت عادة تعاطي اللحوم . . . وبعد سنة واحدة على انقطاعي هذا أصبحت عادتي الجديدة سهلة لذيدة سلسة ، وتبينت علاوة على ذلك ان قواي العقلية قد اطردها »

ويؤخذ من تجارب متعددة جربت في أيامنا هذه بالجرذان التي أعطيت الخبز والخضر غذاءً لها ان هذه الحيوانات غدت أهدأ طبعاً وأسهل ائثلاًقاً وأميل الى اللين . وبالعكس أصبحت شرسة متوحشة قارضة مؤذية عندما أخذت تقنات باللحوم . وكذلك الحيوانات الأخرى كالديبة في حدائق الحيوانات وغيرها ، فهذه تكون هادئة وادعة مادامت تقنات بالخبز والخضر ، ولكنها تغدو مؤذية خطيرة عندما يقتصر طعامها على اللحوم . ويذهب بعضهم الى ان نوع الغذاء وحده كان كافياً لتحويل الذئب او الهرة المتوحشة من الضراوة الى الألفة والهدوء . أضف الى ما تقدم ان كثيرين من العظماء والادباء والفكرين أمثال نيوتن الذي جاوز الثمانين في العمر ، وفونتنيل وفرنكلين وجان جاك روسو ولامرتين وميشله وغيرهم كانوا من النباتيين وطعامهم كان مقتصرأ على الخبز والبقول والخضر والماء . وقد جربت تجارب متعددة بطائفة من المجرمين في سجون الولايات المتحدة الأميركية ، فأعطوا حساءً مطبوخاً بالذرة بعد اضافة نوع من الدبس اليه ، فظهر ان طباع هؤلاء المجرمين قد تحسنت تحسناً محسوساً وأمسوا بعدئذٍ أهدأ خلقاً وأسهل انقياداً مما كانوا عليه قبلاً

نستنتج مما تقدم ان الاطعمة النباتية لا تدخل في الجسم مواداً سامة أو مهيجة للاعصاب كما تدخله فيه اللحوم او الاطعمة الزلالية . اما قول بعضهم إن الانسان الذي

لا يأكل قطعة لحم في كل أكلة لا يمكن ان يحتفظ بصحته ويصبح غير صالح للعمل ، فهذا لا سند له من العلم . صحيح ان اللحم مقاماً بين الاغذية وهو يولد في الانسان نشاطاً غير عادي بعد تناوله ويغري آكله بالافراط في أكله ، غير ان هذا النشاط في حقيقته ليس الا تهيجاً مؤقتاً لا يلبث ان يعقبه انخراط . وهذا التهيج من أكل اللحوم أشد خطراً من تهيج المواد الغذائية الاخرى لان هذه لا تترك مخلفات في الجسم ، اما اللحم فلا يحترق الا احتراقاً جزئياً وينتج من ذلك مركبات سمية كالحامض البولييك وهو لا ينفرد كلة فيكسو العضلات والمفاصل بادران قتالة تسمم الاعضاء

أضف الى هذه المضار الناشئة من تناول اللحوم مضار أخرى تنشأ عن اكل لحوم حيوانات كانت قد تعبت قبل موتها فتحتوي انساجها على سموم شديدة الفعل . وكذلك تناول اللحوم الجلاتينية واللحوم البيض الحاوية سموماً في مادتها الحيوية . غير انه يجب القول هنا ان اكل الاطعمة النباتية دون سواها من شأنه أن يضعف تدريجاً مع الزمن ، قوى الجسم العامة ، ولا سيما الارادة . وكما ان الاسراف في تعاطي المواد الزلالية او النتروجينية مضر جداً بسبب عدم احتراق هذه المواد احتراقاً كافياً في جسمنا وعجز الجسم عن اخراج مخلفاتها ، كذلك الانقطاع عنها بناتاً لا يصح بوجه عام عند معظم الناس . ولهذا ينبغي على الانسان أن يأكل تلك المواد بحذر ويختار من الطعام ما يوافق دواعي صحته والعيشة الصحية التي يحياها اكثر الناس الآن في البلاد المتقدمة . وبوجه عام لا يحسب حساب كافٍ لهذه الامور في طعام الانسان لأنه ، بحسب طبعه ، لا فرق عنده بين التغذية بهذا الطعام وبين التغذية بغيره . ومما يجدر ذكره هو ان العصبيين وسريعي التأثر وذوي الطباع الحادة وقلال الصبر يجب أن يقتصروا ما أمكن على الاطعمة النباتية او ان يقللوا جداً من تعاطي اللحوم . اما ذوو الامزجة المفاوية ، والذين فيهم ميل الى التراخي وبطء الحركة الخ فيحسن أن يدخل اللحم في طعامهم ويقول احد الأطباء الانكليز ان لحم بعض الحيوانات : كالثيران والخنازير والغنم والعجول له تأثير خاص في طباع الانسان ، فلحم الثور مثلاً — بحسب قوله — يجعل المرء مع الزمن نشيطاً قوياً شجاعاً ، ولحم الخنزير يؤدي الى الاصابة بالملائنخوليا . وهكذا قل عن لحم الغنم فهو يؤدي ايضاً الى نفس النتيجة . اما لحم العجول فيزيل من الانسان كل قوة وجماسة حتى ان الذي يتعاطى هذا اللحم يكون ضعيف الذاكرة والارادة ومنحط الحالة الجسدية والعقلية وهناك طبيب انكليزي آخر يقول ان النساء اللاتي يردن ان يكن حائزات على صفات الاناقة والظرف والكياسة ما عليهن الا أن يكتفين بأكل اللبن الحليب والبيض أما الافراط في تناول الزبد والبطاطس فيجعل الانسان حسوداً كسولاً ، وان تعاطي التفاح يساعد كثيراً ذوي الاشغال العقلية على العمل ، والحدردل يحفظ الذاكرة . والعلوم الاخرى نورد هنا بكل تحفظ

حَدِيثُ الْمُقْتَضِفِ

رابندرانات تاجور

الفصل الثالث

مدرسة تاجور



لمحمود المنجوري

مدرسة تاجور

— ٣ —

لمحمود المنجوري

ويلتفت تاجور ، بعد اذ يقرر ان المدنية الهندية انما نشأت في الغابة مستمدة حريتها وتفكيرها وعناصرها ومقوماتها من حقائق الحياة البشرية التي لا تحدها اسوار المدينة ولا تكتنفها حدود الممالك الموضوعية ، يلتفت تاجور بعد هذا الى المدنية الغربية فيقول :

« وترى الغرب قد أخذته العزة كبراً ، فيحسب ان الشرق يعيش كلاً على الطبيعة ، تغالبه فتقهره ، كأنه وإياها في خصام دائر ، وإنها لن تنيله من أمرها شيئاً ، إلا ما قد يفتصبه منها اغتصاباً ، وأنه معها على غير هدى او تفاهم ، إلا بالقدر الذي يحرفه الشرق عن حقائقه وأوضاعه »

هذا هو وحي المدنية الغربية ، المدنية التي نشأت بين الجدر والاسوار ، والتي لا تدع للشعور نمواً ، ولا تترك للفكر مجالاً للسمو في آفاق غير محدودة

« في حياة المدينة ترى الانسان قد جبل على توجيه قواه العقلية في مجرى حياته الخاصة ، وشئون التي تتصل بمطامعه — وهذا الجهد يقيم فاصلاً مصطنعاً ، بين روح الفرد وبين الطبيعة الجامعة التي تحتضنه وتؤويه « ولكن وحي الهند مختلف عن هذا الذي يوحى به الغرب ، إذ أنه يضمن العالم قلب الانسان ، وينظر اليهما كحقيقة واحدة كبرى ، وفلسفة الهند تعتمد بالانسجام الكائن بين الفرد والجامعة ، وتشعر بأن الانسان قد لا يلتئم بما حوله من كائنات ، اذا لم تقم بينهما الالفة والتفاهم الصحيح ، وظلامة الانسان من الطبيعة تقع دائماً في الشكوى من أنه لا يحصل على الغالب من مطالبه وضرورياته منها إلا بجهوده الخاصة ، فلكي يكسب لا بد ان يعمل ويجهد ، هذا حق ، إذ ليست جهوده بذاهية هباء او عبثاً ، انه يجني كل يوم ثمرة النجاح ، وهذا يدل على وجود رابطة عقلية بينه وبين الطبيعة وما فيها من كائنات ، فلا يمكن ان نجعل شيئاً في حوزتنا ما لم يكن قد أصبح متصلاً بنا تمام الاتصال « (١)

فتاجور يرد كل مدنية الى طبيعتها ، ويرى ان حضارة الغرب نشأت نشأة تدعو الى الانانية ، لأنها نشأت محصورة في مطالب الانسان ، الذي جنى على نفسه ، خدد تفكيره بحدود مصنوعة ، وقيد مشاعره بأوضاع ضيقة ، فنشأ وهو يشعر بأن الطبيعة خصم له ، عليه ان يفكر في اخضاعها واستغلالها لرغباته ومطالبه ، وان هذا العالم لا بد ان يتغلب هو عليه ليقهره حتى يسوده — بينما الحضارة الهندية على تقيض هذا ، نشأت في حرية لا حد لها ، وكان مهم العقل الشرقي ان يدرك من الحياة حقائقها ، لا ان ييسط عليها نفوذه ويناصبها العداء ، فهو لهذا

مضطرب الى ان يوثق العلاقة بين نفسه وبين الطبيعة ، وينفي عن نفسه هذه العزلة وهذه الوحشة التي تدعوه الى التفكير في السيطرة والسيادة والشعور بالفردية ، وهو لهذا يشعر في نفسه بوجوب الاندماج في العالم ، يبادل حباً بحب ، وعطفاً بعطف ، فهو عندما يسخر الطبيعة ، لا يسخرها لانه قهرها وأذلها ، ولكن لانه فهم منها أسرارها فأحبها ، وشعر في نفسه بأنه منها وأنها من ذاته ، وألاً حواجز تحول بينه وبينها ، فهو لا يفرق بين ما هو انساني متصل بنفسه ، وبين ما هو طبيعي متصل بالكائنات ، بل هناك وحدة تجمع الكل في رباط واحد ، هناك قوة الله التي خلقتنا وسخرت بعضنا لبعض لمنصرة الفكر والعقل والحياة والحرية

والحضارة الغربية قد وضعت العلوم ، وسخرت العقل البشري لقهر الحياة واذلال الطبيعة ، بينما ترى الحضارة الشرقية فيما يقرره تاجور في قوله :

« إن ادراك العلوم الطبيعية يجب ان يلمهم نفوسنا المسرة بالمعرفة والبهيج بالحياة . وأسرارها . يجب ألا تشدنا الى المعرفة بالعلوم الطبيعية طلعة الانانية ولا نهم الكسب المادي ، من تسخير الطبيعة ، ولكن يجب ان يشدنا اليها ما نتوخاها لها ونحققه ، بشعور عاطف متبادل بيننا وبين الطبيعة ، فيفيض علينا فيضاً غزيراً من السرور والصفاء — إن العقل الهندي لا يتردد في الاعتراف بأواصر القرين بين الانسان والطبيعة ، ويرى ان وحدة الكون جوهرية ، يجب ألا تكون موضع تفكيره او تأمله الفلسفي فقط ، ولكن يجب ان تكون وحدة الكون غايته من الحياة ، يتوخاها بالجهد المبذول ، بالشعور والعمل »

فمدرسة تاجور ، تدعو الى رفع الفوارق بين الانسان وبين الطبيعة ، وتعتز بحكمة الهند التي تقول بعدد الدنيا والانسان حقيقة خالدة واحدة ، وفي هذا يقول تاجور :

« كم يكون الانسان في غيابة من السجن اذا هو لم يحقق صلته بالعالم ، وكما يكون حراً مطلقاً عندما يتعرف الروح الخالدة الكامنة في الاشياء التي حوله . عندئذ تنكشف له الدنيا أما رؤوياً ، في أروع معاني الرحمة والاحسان والعطف ، وعندئذ يشعر الانسان بأنه في فيض كامل من الحق ، وان انسجامه بالخلوقات والأفاق قد تم »

فالتطبيعة والانسان في نظر الشرق كائن واحد ، ولا يمكن للفرد ان ينقطع عن العالم ، بل هو موصول به روحياً ، وفي هذه المعاني يقول تاجور :

« إن الفرد لا يمكن ان يعيش انساناً فقط ، بل عليه ألا يهمل مكانه من الطبيعة الجامعة ، والا أرهق أعصابه ، إذ لم يأخذ مكانه من الانتهائية ومطالب الروح . ويجب عليه ان يعلم انه وإن جاهد ، وبذل في الحياة ما بذل ، فلن يخلق عناصر وجوده في ذاته من نفسه ، ولن يكون كالنحلة تدبر عسلها من جهدا طعماً لها طول العام ، فان الانسان لا يمكن ان يعيش على ما في جسده من مدخر ، ولا بد من مدد موصول بما حوله من العالم ، يجب ان يدرك انه اذا ما حبس نفسه ، وقبضها عن الاتصال بالعالم والانتهائية ، واذا ما عكف على نفسه يجتر القوت ويلتمس منها العافية ، ردت نفسه الى العطب ، وتمزقت إدراكاً ، وأكل بعضها البعض الآخر ، فهو مفتقر الى ما حوله من عناصر الحياة الاخرى ، هو مفتقر الى ان يحاط بهالة منها ، فان انزعجت عنه ، حرم البساطة ، وأصبح أنانياً كرجس يعاب ، وتجردت ثروته الروحية من المروءة وعزة النفس ،

واندفعت نفسه تنمو في السفة والاسراف ، وقد انقطعت بها وشيجة الحياة الجامعة ، فتصبح الشهوة غاية له في ذاتها ، ويصبح أنانيا ، ثم ينقلب الى نار تنكس لهيبها لتأكل ما حولها ، ثم يكفهر لهيبها . فتأتي على نفسها ، وتصبح حياة الفرد مفزعة مخيفة « (١)

وتدعو مدرسة تاجور الى تعاون المدنيات على الخير والبر والسلام بأن تتلاقح هذه المدنيات بعضها ببعض ، لتوليد ثقافة عالمية ، لا يشعر فيها الانسان بنفور او بؤس او فاقة روحية ، فالحضارة الانسانية ، التي لا تعرف الوطن ، ولا اللغة ، ولا الجنس ، ولا اللون ، هي رسالة مدرسة تاجور ، التي ينبغي ان تعم الدنيا وتشمل الوجود ، ولا بد للوصول الى تحقيق هذه الرسالة من ان يشعر كل فرد بالتوافق الروحي مع ما حوله في العالم

« إن قلب الانسان ، هو هذا المكان المقدس ، الذي يشعر منه بالتوافق الروحي ، بينه وبين الاشياء التي تحوطه في العالم ، حيث تلتئم روحه بروح الدنيا . إني لا أستطيع أبداً ان أخذ الاشياء على غير هذا الوضع ، وانها المضيعة للغرض حقاً ، لو استمسك التاريخ بأعادة نفسه ، وتكرار احداثه ، على شاكلة واحدة لا تتغير . وانه الخير للروح العامة ، ان يلتئم الناس على اختلاف أقدارهم في سوق البشرية ، عارضة منتجاتهم الروحية والفكرية المختلفة ، لان بعض الانتاج هو في الحق متمم وضروري للبعض الآخر ، إن كل ما أرغب القول فيه : هو ان الهند قد أهلت في مطلع وجودها ونشوء اتجاهها على أحداث ملائمة ، كان فيها الخير والبركة ، فاستغلتها فرصة متاحة للتفكير وإنعام النظر ، والسكدة ، ومجالة النفس ، فسبرت أغوار الوجود ثم أنجزت من هذا البذل الروحي شيئاً له قيمته للبشر ، سلك بالتاريخ البشري طرائق متباينة ، ولكنها طرائق تدعو الى تكوين انسان كامل نال نصيبه من جميع المدنيات . فلكي ينمو الانسان نمواً كاملاً ، لا بد له من تلبية ما يحتاج اليه تكوينه من العناصر ، والمواد الحيوية المختلفة التي تدبر حياته المركبة . ففداؤه إذن يجب ان يكون مختلف العناصر مجلوباً اليه من حقول متباينة التربة

والحضارة قوالب وقيم ، يجهد كل شعب في ان يهيء له منها ما يصلح ، لتخريج أناسه ، رجالاً ونساء ، في أوضاع . طبق مثله التي يؤثرها تكوينه ، وكل شعب يرعى قيمه حضارته وقوالبها ، في جميع نظمها وكل تشريعها وتقنيته ، وتحديد مستوى الجزاء والعقاب ، بل ان الحضارة لتبسط ولايتها على ما هو أبعد من التشريع والتقنين ، فلها الولاية على الوجدانيات ، وما تستشعره الحماة والافراد من أحاسيس ومشاعر مختلفة وتجاهد حضارة الغرب بما اخترنت من قوى ، لتجعل من البشر أناساً يسيطرون على الطبيعة بما أوتوا من عقول وبسط في النفوذ ، وتدعو الى ان يسخر نشاط الشعوب بأبلغ مداه ، في بسط قوى الانسان على ما حوله من كائنات ، والى ان يعقد الفرد مواهبه للوصول الى حق التملك والسيطرة لاختضاع الحياة واستثمار ما بين يديه وما خلفها من قوى ، وامتلاك كل هذا للفلية والانتصار على الطبيعة — فالمدينة الغربية ترى الفرد ليعيد نفسه ليكون حرباً على غيره ، وخصماً مجاهداً للطبيعة وسائر الانواع ، وليعيد ما استطاع من قوة وذخر وسلاح لاذلال الحياة »

هذا هو رأي تاجور في الحضارة الغربية بينما يرى ان في حضارة الشرق المعاني السامية التي تسمع الحضارة العالمية التي ينشدها

« وأما حضارة الهند القديمة فقد اتجهت الى مثل عليا ، الى هدف آخر غير الذي ترمي اليه حضارة الغرب ، بذلت في سبيله جهودها كاملة . فلقد أهملت ما عني به الغرب ، من احراز للقوة وبسط للسلطان ، ولم تدعم بنيتها بوسائل الهجوم أو الدفاع المادي ، في سبيل حيازة الثروات ، وجلب الاموال ، او فرض النفوذ السياسي على

الغير . . . لقد اتجهت الحضارة الهندية الى الفوز بالحياة عن طريق اثار الروح والتأمل، وادراك الوحدة، والاستمرار في البحث عن الغوامض، فجلبت كنوز المعرفة، وقدمتها الهند للبشرية، هدية كريمة، كمدنية روحية — كلفتها الثمن الغالي — ان نزع الطموح بالبشرية هي ما تبغيه الحضارة الشرقية « (١)

يلتفت تاجور بعد اذ أبان الفروق بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية، يلتفت الى دعوته التي جاء برسالتها، مؤمناً بها عاملاً لها، فيدعو الكافة الى مدنية عالمية، لا أثر للجنس ولا للون ولا للغة فيها. وهو يدعو العالم عن طريق الحقوق الفطرية التي للانسان، وعن طريق الوحدة الروحية التي جهد في اقناع العالم بانها الدعامه القوية التي يجب ان تنهض عليها حقوق الانسان في الحياة دائماً ولم يدعه عن طريق العقل والتفكير وحدها

ان تاجور يريد ان يظهر المدنية الغربية مما هي عليه من أسس عنيفة منحرفة عن طبيعة السمو والحياة، ويراها مدنية قامت على قيم من الاثرة والحرب والغلبة وانكار الحقوق والاستعمار والابتعاد عن مطالب الروح والاندماج في المادة والاحاد — فهو بهذا يعمل على انقاذ الجنس البشري بتوجيهه الى المدنية الفاضلة المستقيمة فهو يأبي العنف، وينكر الحرب ويمقتها مقتناً كبيراً، ويرى الأمة التي لا تستطيع ان تعيش الا بحماية سلاحها أمة مريضة الروح، لا تعيش الا على مادة الجسد وحده، وكما جلت حسرته وانهمرت دموعه يوم زار اوربا عقب الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) ويوم رأى ارضها غارقة بدماء الملايين من البشر، ويوم سمع صوت الجندي المجهول يئن ان اتخذوني رمزاً للغدر والتقتيل ولا تتخذوني رمزاً للتضحية والوفاء. كم بكى يوم رأى اوربا متشحة بالسواد بعد حرب طاحنة أثارها اطماع افراد من القادة والزعماء. وكما رفع اكفه الى الله طالباً المغفرة يوم أيقن ان شروط السلام التي وضعت، والتي سارت عليها اوربا بعد هذه الحرب ليست الا اسباب حرب جديدة ستضع اوربا والعالم جميعاً فوق بركان جهنمي لا يهدأ، أيقن تاجور بعد ان زار اوربا ان المدنية التي تتخذ الحرب ظاهرة جوهرية لوجودها لا يمكن ان تكون مدنية فاضلة لله فيها صوت او فكرة او دعوة من روحه، وان مدنية لا تقوم الا على أسس الانانية والاثرة التي يحميها السلاح والغاز الخانق، انما هي مدنية حارقة ستأكل عناصرها كما تأكل النار نفسها يوم تزول. ولقد حاضر تاجور شعوب اوربا وأميركا، وقذف في وجوههم كلمة الحق وآراهم انفسهم وحوشاً في دثر من الانسانية، وأطلعهم على صور جميلة من نفسية الشرق. صور الحب، وادراك الحق والجمال، والتعاون الروحي ورتل فيهم اغانيه الحلوة، فعلت وجوه الملوك والامراء حسرة وكآبة، اذ حملهم مسؤولية ضياع الارواح البريئة في الحرب

(١) كلمات تاجور الواردة في هذا الفصل مقتبسة من محاضرة له ألقاها في مدرسته ونشرها في الفصل الاول

من كتاب سعد هانا بعنوان « علاقة الفرد بالعالم »

الماضية ، وأكدهم ان الفائز في تلك الحرب انما هو خاسرها الفاشل ، وان الضحايا ستثار وتنتقم في يوم قريب . ولقد هاله من أمر اوربا ان رآها قد أسرفت في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية الى أبعد حد نتيجة لفوضى الحرب التي خلفت مبادئ اقتصادية وخلقية لا تستقيم مع سلامة الحياة وحريتها ، وأكدهم ان اعصابه لا تقوى على احتمال التفكير في نتيجة هذه العصبية ، لأنها ستؤدي الى حرب أشد قسوة مما سلفت ، الى حرب حيوانية ، بعيدة عن القلب والروح ، لأنها حرب العصبية والاجناس ، وان المدينة الغربية سائرة الى الانقراض كلما ابتعدت عن روح الشرق الكبير الذي يدعو الى الوحدة الروحية والسلام والمحبة . ولقد تأثرت اعصاب تاجور يوم علم بان اليابان قد اجتاحت جارتها الصين ، وبكى لانه شهد اليوم الذي اصيب فيه الشرق بروح الغرب الفاتكة المريضة ، واما الحرب الحديثة ^(١) فقد لحقته مريضاً يعانى آلام الاعصاب ، ولكنها ولا شك كانت امراً يتوقعه نتيجة للوضع الاوربي الذي نشأ بعد الحرب الماضية

ولقد سمعت تاجور وهو يحاضرنا ، يوم احتفلنا به بعد زيارته لأوربا في فندق شبرد في ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، وهو يقول :

«لا أشك مطلقاً في ان قد وجدت أهم من قبل ثم بادت فانية من حروب طاحنة في سبيل أغراضها . ولا تزال الآن في مجاهل أفريقيا أهم تسير في طريق الفناء ، وأهم الغرب ، على ثقافتها ، لا تقل في هذه الفاجية جهلاً بالوحدة الروحية عن هذه الشعوب المنقرضة ، لاخذها في حياتها بخطة الاثرة وعد الحرب والسلاح ضماناً للسلام الاجتماعي ، بل ان الامم الغربية ترى كما ترى هذه الشعوب ان الغزو والتلمح ضرورة لبقاء الحياة . ولئن كان هذا ممكناً تصوره يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تنصل بين الامم والتبائل ، وتجعل كلاً يعز بكيانه وجنسه ، وتجعل لون أصحابها وسيلة لحرب من كانوا من لون آخر ، فلم يبق لهذا التصور اليوم من سبيل ، بعد ان أصبحت الحدود الطبيعية لاحقيقة لها ، لاسباب أهمها تقدم المواصلات وسرعتها ، والتمازج العقلي بين الامم . لهذا يجب ان تمنح الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس واللون . ويجب ان يشعر العالم ان هناك وحدة روحية تربط أممه المختلفة

ولقد أنست في أثناء سياحاتي في البلاد المختلفة ، في كثير من المفكرين ، اتفاقاً وإيائي في الرأي ، وثقة تمثل ما أثق به بأنه سيأتي يوم تسود فيه هذه الفكرة جميع الشعوب . ولقد احتفل بي البسطاء السذج من الناس في بلاد شتى ، لانهم أحسوا في كتاباتي الدعوة الى هذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم وأما الوسيلة لقهر الانانية وإزالة التعصب الجنسي فليست هي الحديد والنار ، وانما هي في انتشار الافكار السلمية بين الشعوب وسعيها جميعاً لادراك الحقيقة ، فهذه الحقيقة ، الحقيقة المجردة ، الحقيقة المطلقة ، يجب ان تكون غاية الغايات ، لكل شاعر ، ولكل مفكر ، ولكل مصالح اجتماعي ، ولكل فيلسوف ، ويجب ان تكون غاية الغايات للانسان الكامل ، ويوم يأتي الوقت الذي يعمل فيه كل لمعرفة الحقيقة ، فإذا رآها لم يتردد في اعلانها يومئذ ، يكون الانسان قد وصل الى السكالم حقاً ، وفي هذا اليوم يتم السلام على الارض . إن السلام لن يترتب على عمل صناعي مطلقاً كالاتفاقات الدولية وما اليها من معاهدات ومؤتمرات لنزع السلاح . انما الوسيلة الوحيدة لتحقيق السلام هي الوحدة الروحية . فلن تراني قد أحسست بأن هذه الوحدة قد بدأ ظهورها في العالم بعد الشعور بويلات الحرب وتدميرها ؟»

في هذا الخطاب الوجيز يلخص تاجور دعوته إلى المساواة ، فيقول : « يجب ان تنمحي الأثرة ، وان يزول التعصب للجنس واللون » لأنه وجد المدنية الغربية تنهض على هذه الأخطاء ولأنه يخشى ان تنهار هذه المدنية ، وفيها الكثير من ثمرات الفكر البشري ، وما يعد ضياعه خسارة لكنز بشري ثمين قد لا يعوض في اجيال وقرون

ولقد عارض فيلسوفنا ، بهذا المبدأ السامي مذاهب المساواة التي يؤمن بها العالم المتمدين في القرن العشرين ، وهو وإن لم يكتب رسالته في تفصيل عامي على نحو ما يكتب علماء الاجتماع بمحوشهم إلا أن رسالته الروحية تؤدي الى وضع المساواة في نصابها الحق ، ولأنه يريد ان يتعد عن الاسلوب العلمي لما يحتاج اليه من مغالطات في المنطق ، لان دعوته روحية لا تحتاج الى غير اخلاص في الأداء وإيمان بها

فعلماء الاجتماع والفلاسفة الذين نظموا مذاهب المساواة ، وقرروا استحالتها بين الامم والشعوب ، هم صورة للمدنية الغربية المنهارة ، بينما نجد تاجور صورة للشرق الكريم الذي يبشر بدعوة روحية ان سلكتها المدنية البشرية كانت المدنية الفاضلة التي تستمد كيانه من عناصر السماء والروح

ولكي نفهم اصالة الفكرة التي ترمي اليها رسالة تاجور « رسالة الشرق ، رسالة الوحدة الروحية والمساواة » يجب ان نلم بما يناقضها من مذاهب المساواة في مدنية القرن العشرين ، وهذه المذاهب هي رسالة الغرب المنهار

ولعل رسالة الغرب تتلخص في فلسفة نيتشه ، وفي العلوم التي حاول جوستاف لوبون ان ينظمها في ابحاث ظلية . لقد أرادا حقاً ان يؤسسا مدنية الغرب على اسس من الانانية ، وقد رسماها رسماً صحيحاً في اساسها واوليها ، دون كذب او ملق ، لانهما يؤمنان بدعوتها ، كمايمان تاجور الكريم بالدعوة التي تناقضا . فنيتشه وجوستاف لوبون صورة للغرب ، لا يؤمنان بحق للانسان الضعيف ، ولا للانسان المحروم من القوة ، ولا للانسان الذي لم تهيه له الطبيعة أن يكون من جنس اوروبي أو لون من ألوان الشعوب الاوروبية — هما رجلان لها نزعة الاستعمار ، يريان من حق القوي أن يأكل الضعيف ، احدهما يقيم آراءه على علوم كانت مبتسرة الى زمن تقرير هذه الآراء ، بل انه اتسمها مغالطة منه . فهو يبنّي بحوثه على علم « الاتروبولوجيا » اي علم دراسة الانسان على مجموع العلوم النفسية والتشريحية والوراثية . فهو لهذا يحدد ويرتب الناس ، طوائف وأجناساً وأنواعاً ويناقش نظرياته الاجتماعية على ضوء ما يتباين وما يتحد من صفات هذه الاجناس البشرية . وهو من هذا يصل الى أن الاختلافات الجنسية واللغوية والتشريحية اصول في تكيف المدينيات وحقوق الانسان في تغيير

الجماعات من حيث الميول والمزاج العقلي أو بعبارة أوضح : هو يقرر بأن المساواة مستحيلة بين الأمم ، أو هي مستحيلة بين الافراد ، لأن الافراد ، أو لأن الأمم مختلفة اختلافاً جوهرياً في الوراثة والصفات التشريحية والامزجة العقلية واللغوية ، فالناس إذن متفاوتون ، لا يتساوون في الحقوق ، والأمم إذن لن تتساوى أمام ميزان العدل العام ، وعليه فلا بد من أمة حاكمة مستقرة ومن أخرى محكومة مستعبدة

هذا النظر ينقضه تاجور ، وتأبى فطرته الانسانية ان تؤمن به ويرد عليه في قوله :

« يجب ان تمنحي الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس واللون »

ولا ينكر تاجور الخلاف الذي اشتجر بين الناس منذ القدم ، ولكنه ينكر عليه أنه صدر عن نزعة انسانية فيقول : —

« لقد نشأ الخلاف ، وقام النزاع بين البشر منذ فجر تاريخهم الاول ، ولقد سبقت بعض الجماعات بعضها الآخر ، وتقدمت غيرها مصادفة ، ثم أخذت تستغل ضعف الضعفاء ، ثم تكبر عتواً منها ، ثم أغلظت لها القياد والسلوك . إن هذه العادة ، عادة السيطرة والغدر قديمة في البشر ، ولكننا على الرغم من قدمها نجزم بأنها ليست من الانسانية في شيء ، وليس لامة متحضرة ان تبني عظمتها على إذلال الذين جردوا من انسانيتهم ظلماً وعدواناً ، وحبست أرواحهم في سجون مظلمة من المذلة ليس للفرح والعلم والمدنية اليها من سبيل »

فالمساواة إذن حق بشري مقرر ، ولكن الطغيان يهدرها ، وينكرها في مناطق كثيرة من هذا العالم

ولئن كانت الاثرة والانانية من مظاهر القوة للمدنية الحديثة ، إلا ان تاجور يقول فيها أنها من مظاهر الانهيار لهذه المدنية فهو يقرر « لقد أسرفت الأمم في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية التي يتمسك بها فريق كبير من أهل الأمم المتحضرة ، على ان هذه العصبية هي أكبر مظاهر ضعف المدنية الحاضرة ، فهي التي تجر الأمم الى التطاحن لنيل غايتها ، وهي التي تثير بينها حروباً مهلكة مدمرة ما كانت لتقع لولا هذا التعصب الخاطئ ، وتلك الاثرة التي استكنت في قيم المدنية الغربية »

ولقد حمل كتاب الفيلسوف الالماني (ازوالد اشبنجلر) « سقوط الغرب » هذه النذر التي تضرر للمدنية الغربية الانهيار ، وفسر بطرائقه العلمية دعوة تاجور الروحية ، ولقد مهد لبحثه بقوله :

« إنه يريد ان يجرب لأول مرة تعيين مجرى التاريخ ، وان يوضح مستقبل المدنية التي تسود العالم ، والتي بلغت ذراها ، وان يصور المراحل التي ستعقبها في سقوطها » . [ثم قارن اشبنجلر المدنيات فقال] : « بينما ترى الانسان في المدنية الغربية التي يمثلها الشاعر جوتيه بقاوست الذي لا يعرف إلا «أنا» أي الذات المستندة الى نفسها لنفسها ، وبينما ترى الانسان في المدنية القديمة الذي يمثلها اليونان (بأبولون) يعد نفسه (واحداً) من المجموع مسؤولاً عن شخصه ، إذ ترى الانسان في المدنية الروحية (مدينة الشرق والاسلام) لا يعد نفسه

إلا جزءاً من كتلة كائنة تجمعها كلمة «الناس جميعاً» (١) تتمثل في كل جزء، وفي كل تشريع من ثواب أو جزاء وإن المدينة الشرقية هذه تؤمن بشيء آخر مقدس، يحول في وحدة الجماعة، ويبيع الفرد دائماً على التفكير فيه باعتبار الفرد جزءاً من كل ولأن هناك روحاً تتصل بروحه وتجمعه بالجماعة، هذه الروح المقدسة هي (الله) وهو معصوم من الخطأ في قضائه وقدره وأتينا لساناً نستطيع أن ندركه بعلومنا التي وضعها العقل والتفكير، فن الضال أن ندع الانانية في العلم والتفكير تبسط نفوذها على القوى الخفية المحركة للعالم» (٢)

روت إحدى الصحف الانكليزية (٣) أن تاجور كان في لندن في أثناء زيارة نجمة السما المشهورة ماري بكفورد لها، وحدث أن كان الفيلسوف يمر في طريقه الى الدار التي يسكنها أثناء استقبال الشعب لهذه النجمة الجميلة التي ظفرت باستقبال فريد لم يظفر بمثله ملك من الملوك فتبعه صحفي وسأله رأيه في احتفال الشعب بنجمة السما فأجابه حكيم الشرق

«إنما ذاك بعض مظاهر حضارة الغرب المادية التي تدعوه الى التعلق بما يفنى، والانصراف عما هو باق خالد، والحضارة الحققة، الحضارة التي تشرف الإنسانية، وتدل على سموها وعظمتها هي النقيض من هذا، وهي الداعية الى التعلق بالخلد المائل في روح الوجود»

ويرى تاجور في صلة الشرق والغرب غير رأي كثيرين يؤمنون بقول الشاعر الانكليزي رديارد كبلنج «الشرق شرق والغرب غرب، ولن يلتقيا» وهو لا يقر الكتاب والأدباء والساسة الذين يقولون بوجود الفوارق الطبيعية بين الغرب والشرق، التي تحول بين قيام التفاهم بين الثقافتين، أو احلال ثقافة منها مكان الأخرى، فيذهب تاجور غير ما يذهب اليه علماء دراسة الفوارق الطبيعية التشريحية والانتروبولوجيا الذين يدرسون فوارق المذنيات من فوارق الطبيعة لتكوين الأجسام والجماجم بين الشرقيين والغربيين، ثم يقولون باستحالة التمازج بين الحضارتين الخالصتين. إن تاجور ينظر الى الحضارة كأنها ميراث بشري، لا وطن له ولا جنس ولا دم ينتمي اليه، ويؤمن بأن الاخطاء التي اعترضت طريق الحضارات إنما هي أمراض يمكن البرء منها، لأنها من عمل أفراد استغلوا نفوذهم لتوجيه الأمم طبق رغباتهم وانانيتهم وضحوا بدم البشر في سبيل تحقيق ما تلح به انانيتهم واطماعهم. ودعوة تاجور ليست دعوة جاء بها عن طريق تفكيره، وإنما هي دعوة ابتعثها من تعاليم الفلسفة الشرقية، من تعاليم الهند القديمة العروضة بمذهب (اوتيزوسوفي) الذي يرمي الى احياء العالم من طريق ابتعاث الروح وتوحيد اتجاهه الروحي

فنظرة تاجور الى الحضارة الغربية ليست الا نظرة مشفقة على ما في هذه الحضارة من كنوز بشرية غالية، وهو يرى ان الغرب قد أصيب بمرض وبيل، مرض الانانية والتعصب للجنس واللون، وان داء الغرب هو الداء الذي سيقضي على حضارته، لأنه يحرم الحضارة

(١) قال تعالى: «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً»، ومن احيائها فكأنما احيى الناس جميعاً (سورة المائدة) (٢) مجلة حمامة من الشرق تصدر ببرلين سنة ١٩٢٥

(٣) جريدة السياسة ٢٩ / ١١ / ١٩٢٦

من عناصر البقاء والتجدد، ومن الروح المعنوية الجامعة التي تبعث بهج الحياة فيها، وتلهم القادة والزعماء طريق الخير، ومحو الاثره واهداد الكرامة، وتقرير مبادئ المساواة كحق مقضي لكل بشري بمقتضى انسانيته واشترآكه في حمل تبعات الحياة، وان حرمان امة من الامم او شعب من الشعوب نصيبه في الثقافة والثروة ليس نتيجة نقص في تكوينه الطبيعي، وانما هذا الحرمان هو نتيجة تحكم شعب قوي بآخر، وحرمانه اياه حقوقاً له مقررة منذ الازل. وان قوانين الوراثة والتناسل ونظم الحكم والتعليم لا ترفع الانسان قدراً على انسانيته، وان صقلته وهذيته، وان حرمان الناس تنظيم الحياة المتحضرة وبسطها على الشعوب المحرومة ليس الا أثراً من آثار الحضارة الغربية التي استأثرت بمهاج الحضارة التي اشتركت فيها الشعوب جميعاً منذ خلق الانسان. وان ما يترتب على هذا الحرمان هو اثاره الحروب التي مستقضى من غير شك على عناصر الانانية القاتلة

ويرى تاجور ان العالم يخطئ الطريق عند ما ينشد السلام بضمان مسلح او بعقد اتفاقات دولية. وانما يرى الوسيلة الوحيدة الى السلام في تحقيق الوحدة الروحية ونشر الافكار السليمة بين الشعوب، وتستطيع ان تقرر بأن لتاجور فلسفة اجتماعية يريد بها ان يبني للمجتمع البشري نظاماً يعيش في كنفه، وان هذه الفلسفة مدعمة بعقيدة قائمة على حقائق، تسير بمقتضى طبيعة الحياة نفسها، وتألف مع ما يجب ان تكون عليه الانسانية من وحدة روحية، وثقة متبادلة تنشأ بين الفرد والفرد، ثم بين الفرد والجماعة، ثم بين الجماعة والجماعات الاخرى، أي ان فلسفته ترمي الى جعل الحياة تلي ابدأ مطالب الوحدة الروحية العامة، وتبحث المجتمع البشري على ان يسير طبق ما تطلبه الحياة من حب ووحدة وسلام وتاجور بهذه الفلسفة يناقض المدينة الغربية في أسسها القائمة على الاثرة والانانية، وهو يريد ان يشفي المدينة البشرية من داء الغرب، أو هو يرمي الى نقد الحضارة وتفتيتها من العوامل الهدامة المنبئة في صميم تكوينها، والتي لازمت انقراض الحضارة البشرية في صورها المختلفة، فهو مشفق على حضارة الغرب ان تنهار ما دامت تسير في طريق الحضارات المنقرضة الاولى

وتاجور، بدعوته الى الروحية، يبشر بفلسفة الشرق، ويدعو الى دعوة الهند، التي تعبر حقاً عن ضمير الأديان التي نشأت في الشرق جميعاً، فهو يقول: إن وحي الهند مختلف عن هذا الذي يوحي به الغرب، إذ أنه يصمّن العالم قلب الانسان، وينظر اليهما كحقيقة واحدة كبرى،

وفلسفة الهند تعتد بالانسجام الكائن بين الفرد والجماعة ، وتشعر بان الانسان قد لا يلتئم بما حوله من كائنات اذا لم تقم بينهما الألفة والتعارف الصحيح فدعوته الروحية دعوة شاملة جامعة بين البشر وعناصر الطبيعة جميعاً ، وليست مقتصرة على ما يبذل من جهد في ربط البشر برباط واحد من الألفة والمحبة ، وهو يكشفنا عن سر الحضارة الشرقية التي تعنى بالروح والمثل العليا ، فيقول فيها : لم تكن رغبته في التملك والحيازة ، ولكن كانت رغبته في فهم الاشياء وادراك حقيقتها ، وتوسيع نفوذ ضميره عليها ، بان ينمو هذا الضمير نمواً متصلاً بآفاق الطبيعة التي تحيط بهذا الانسان » والحق في نظر تاجور ليس الحق الذي يراه الغربي المتحضر ، الحق الذي تعينه وتعرف اوضاعه القوة والمادة ، وانما « الحق هو ادراك شامل للكائنات ، وان السبيل الوحيد للوصول الى الحق انما يكون بتخلل نفوسنا الاشياء لنندرك كنهها »

فتاجور يدعو القادة عند ما يفكرون في مشكلات الحياة الاجتماعية والعمرانية ان يوحّدوا أنفسهم ويربطوها بالعالم جميعاً برباط روح جامع ، وان يدركوا ادراكاً كاملاً حقائق الكائنات ، وما يحيط بهم من امم وقبائل لها حق الحياة مثلهم في هذه الدنيا . ويدعو تاجور الى وجوب الاتصال بالعالم ، ويرى في هذا الاتصال بقاء وغذاء متجدداً للحياة ، ومعنى هذا انه يدعو الامم الى تبادل الحياة والثقافة والمنافع المستمرة ، فهو يقول :

« يجب ان يعلم الانسان انه وان جاهد وبذل في الحياة فلن يخلق عناصر وجوده في ذاته من نفسه ، ولن يكون كالنحلة تدبر عسلها من جهدا طعاما طول العالم ، فالانسان لا يمكن ان يعيش على ما في جسده من مدخر ولا بد له من مدد موصول بما حوله من العالم ... فاذا ما عكف على نفسه يجتر القوت ويلتمس منها العافية ردت نفسه الى العطب وتمزقت إربا وأكل بعضها البعض الآخر »

هذه هي الدعوة التي تحمل في رسالتها المعنى السامي للانسانية ، لان من يعيش في نفسه لنفسه يدنو من الصفات التي تلتصق بالانانية بالفرد وتنزع به الى الأثرة وتبعده عن الشهامة والغيرة للجماعة وحب الخير للكافة . بل ان هذه الدعوة تدفع الانسان الى ان يكون دائماً عالمياً في تفكيره وثقافته ونظره نحو الاشياء

رب إله البشر جميعا

تنزهت عن كل لون وجنس

يا مهيماً على جميع الامم وان اختلفت ألوانها

وحد بين قلوبنا ، وألهنا تبادل المحبة

وأيدها بروح الحق والعدل

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

اللسان العامي

واللسان النبائي

لا يسعني قبل الرد على الملاحظات العلمية اللغوية التي أبدأها الأمير مصطفى الشهابي تعليقا على مقالي في عدد فبراير من المقتطف سنة ١٩٤٢ إلا أن أثنى عليه جزيل الثناء لاهتمامه بتتبع مقالاتي وابداء ما يعن له من ملاحظات هي في الواقع مفيدة اذ الحقيقة بنت البحث

فأولاً — قال اني ذكرت (ان التنّوب يسمى الشوح في الشام) ثم علق على هذه العبارة بقوله (وفي الحقيقة يطلق الشاميون كلمة الشوح على نوع من التنوب تنبته الطبيعة في جبل لبنان وجبل اللكام وجبال طورس وهو *Abies cilicica* أي تنوب كيليكية) أو قيليقيّة (الى آخر ما أورده وأخيراً قال (إن كلمة الشوح لا توجد في الامهات من كتب اللغة ولا في المفردات)

ويهمني التنويه هنا بأن عبارتي وهي اطلاق الشاميين كلمة الشوح على التنّوب كما قال الأمير صحيح فقد جاء في ص ٧٥١ من النسخة الانكليزية لكتاب نباتات سورية وفلسطين وسيناء تأليف جورج پوست ان الشوح هو *Abies* (يريد الجنس) وهو ايضاً *A. cilicica* (أي النوع الكيليكى) دون ذكر كلمة تنوب أو تنّوب كيليكى . وعليه فالقول بأن التنّوب يسمى الشوح في الشام صحيح اعتماداً على ما ذكره پوست وأراد به الجنس عموماً والكيليكى خصوصاً

أما استغراب الأمير عدم ذكرى هذا النوع بالذات فذلك لاني لم ارَ داعياً له اذ لم يكن غرضي الاستقصاء في المقال المذكور

وثانياً — أشكر لحضرة الأمير ما نبهني اليه من ذكر كلمة pinsapo بدلاً من pinaspo

وهذا وقع سهواً لدى النقل وترتب على ذلك تكراره بما لاحظته الأمير

وثالثاً — قال (اني ترجمت *A. lasiocarpa* بالتنبوب الحرش . الثمر . والصحيح التنبوب الأزغب الثمر أو الرغبي الثمر أو الأشعر الثمر وهو معنى الكلمة الدالة على النوع . أما الحرش فهو الخشن وليس بذى الشعر) وأقول اني لم أترجم ذلك الاسم العلمي ولكني نقلته بحرفه عن الرجل العظيم المستشرق المحقق پوست فقد جاء في النسخة العربية من كتابه المذكور في (أولاً) من هذا المقال بمقابلتها على النسخة الانجليزية في صفحات ٧٦ و ٨٨ و ١١٥ ان في الصفحة الاولى من هذه الصفحات *Brassica lasiocalycinum* ترجمها البراسيكا الخشنة الكأس وفي الصفحة الثانية ان *Camelina hispida* ترجمها الكملينا اللحيوية وان منها صنفاً هو *var. lasiocarpa* ترجمها بالحرش الثمر وفي الصفحة الثالثة ان *Helianthemum var. lasiocarpum* ترجمها اهلينا نثوم الحرش الثمر . على اني بعد ذلك أوافق حضرة الأمير على الترجمة الحرفية التي ذكرها بقوله الأزغب الثمر أو الرغبي الثمر أو الأشعر الثمر وان كنت لما راجعت كلمة *lasios* في اللغة اليونانية وجدت مقابلها في مرجعين انكليزيين *shaggy* وترجمتها العربية كشيف وكثّ وأشعث و *hairy* وترجمتها أشعر فاذا كان هناك شيء من المؤاخذه فيرجع الى العالم النباتي المحقق پوست

رابعاً — أوافق الأمير على ان النبات ليس له لسان مستقل وان عبارتي (اللسان النباتي) كان الأولى ان تكون اللسان العلمي او لسان العلم ولكن ما حيلتي في اني وجدت بذلك النص في مراجع كثيرة وتكررت فيها بلفظ واحد . من ذلك دائرة المعارف للبستاني وهي ما يعرف حضرة الأمير قيمتها النادرة في العربية، وفي مصنفات النباتيين المصريين وهما السيد احمد الرشيد في كتابه (عمدة المحتاج في علم الأدوية والعلاج) واحمد بك ندى في كتابه (حسن الصناعة في علم الزراعة)

خامساً — واخيراً . اما اني عرّبت كلمة *Picea* الدالة على جنس مهم من الصنوبريات ولم أترجمها بالعربية فذلك كما يعلم الله اني راجعتها فيما عندي من المراجع فوجدت بعضها يقول إنها باللاتنة اللاندية تدل على ما يكون معزواً الى الزيت او القار فلم أستحسن ذلك لما يباه الذوق . فترجمة الأمير لها بالارائنجية مستملحة جداً لأن كلمة راتينج وهي فارسية معناها صمغ الصنوبر محمود مصطفى الدمياطي

حول كتاب

ظواهر حجرة تحضير الارواح

نشر المقتطف الأغر في عدد إبريل سنة ١٩٤٢ كلمة عن كتاب « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » الذي نقلته الى العربية حديثاً . ولي عليها الملاحظات الآتية : —

(١) لم أوم كتاب المقتطف الأغر ومحرريه بالبحث، وكل ماقلته في الصفحة ٥ من المقدمة إن مجلة « سينتفك أميركان » في محاولتها الخبيثة والبارعة في الخبث قد صدت كثيرين عن متابعة البحث في الروح ، ولم يسلم من محاولاتها تلك حتى كتاب المقتطف الأغر . وهي لم تصدم عن متابعة البحث فحسب ، بل دفعت بهم أيضاً الى نشر رسائل جمعوها بعد في كتابهم « رسائل الارواح » ورجحوا فيها ناحية الإنكار وظنطنوا بجائزة السينتفك أميركان !

هذا هو الذي قلته ، وهو بعيد جداً عما ذهب اليه حضرة الكاتب الفاضل . ولكي أدل على تأثر كتاب المقتطف الأغر وناشري كتاب « رسائل الارواح » رأيت ان أضرب مثلاً فاخترت واقعة واحدة من بين الوقائع الكثيرة المخطئة المذكورة في هذا الكتاب ، وهي الخاصة بانكار مادة الأكتوبلازم ، ثم أردفتها بالتصحيح لا بكلام من عندي بل بكلام أحد الحكمين في لجنة السينتفك أميركان ، وقد أشاد المقتطف بذكره ، وهو الدكتور هيريوارد كارنجتون العالم السيكلولوجي . ولعل المقتطف لا يرميه بعد ذلك بالغفلة . ثم عدت فقلت في الصفحة ٨ « هذا مثل واحد ضربناه للتدليل على تأثر كتاب المقتطف الأغر بما نشرته مجلة السينتفك أميركان . ولكن أصحاب المقتطف وكتابه ، والحق يقال ، لم يقفوا موقف الجمود ، فحينما ظهرت الكشوف الروحية البارة ووضعت النظريات الحديثة لم يحجموا عن نشرها ، وان كانوا قد نشروها في تحفظ شديد ، فكانوا بذلك مثلاً يصح ان يحنثيه البحوث العالميون ... »

(٢) أشارك المقتطف الأغر رأيه فيما حفل به تاريخ العلم من الحقائق والآراء التي قوبلت بالشك والاعراض في مبدأ أمرها ثم اعترف بها بعد . وحقا ان الريب طبيعى في العلم الى ان ينهض الدليل ، فاذا نهض الدليل كان هذا الريب مدعاة للعجب الشديد . ولكن لنفرض ان الدليل لم ينهض بصدد ما نحن فيه فهل يتفضل حضرة الكاتب الفاضل محرر المقتطف الأغر ان يدلنا على كيفية العثور على الدليل الذي يرتضيه هو لكي يقال ان العلم قد اعترف بالروحية ، وليلاحظ ان الأسلوب العلمي الذي اتبع في الكشوف العلمية الأخرى قد اتبع في الكشوف

الروحية بقسوة ، وفي بعض الاحيان بحماسة فاقت كل معروف الحماقات . واذا لم يكن الدليل لأمثالنا، كما هو الحال في أحدث الكشوف العلمية الاخرى، هو مصنفات الاساتذة الجامعيين وتجارهم ، ومدونات جمعيات البحوث النفسية في أوروبا وأميركا ، واعتراف جامعات كجامعة كمبردج العريقة وانشائها تلمذة ودراسة اذا لم يكن هذا كله دليلاً على اعتراف العلم بالروحية فاذا يكون الدليل لأمثالنا يا ترى ؟

أستطيع ان أذكر للمقتطف أكثر من خمسمائة كتاب في الموضوع من بينها عدد كبير لاساتذة جامعيين ، وإن كنت لم أقرأ إلا نحو ستين كتاباً ، وكفى بالسيفتك أميركان للمقتطف الأغر مرجعاً عتيداً . وأستطيع ان أذكر له أسماء من يزيدون على مائتين من الاساتذة الجامعيين المحدثين والمعاصرين ، بين دكاترة في الطب والعلوم والفلسفة والقانون والهندسة وعلوم الحياة . فاذا كان هؤلاء كلهم بما استنبطوا من أجهزة علمية غاية في الدقة ، وبما أجروا من تجارب دقيقة ومضنية في المانيا وإيطاليا والنمسا وفرنسا وروسيا وانكلترا واليابان وأميركا — اذا كان هؤلاء لا يؤخذ برأيهم فبمن نستعين في هذا الصدد ؟ ويلاحظ ان من بين هؤلاء كثيرين ، وكثيرين جداً ، أخذ المقتطف الأغر برأيهم في العلوم الاخرى ، ووافق هواه « الاسلوب العلمي » الذي اتبعوه — دون ان يرى محرره الفاضل تجاريهم !

(٣) أخالف حضرة الكاتب الفاضل في قوله « إن معظم أقوال أصحاب الروحية لم يقيم عليه دليل علمي كما يفهم الدليل العلمي » . وقوله « وان يقول الدكتور بورز مثلاً قولاً ما ، وانه ثبت له ، لا يكفي حتى يستطيع عشرات غير الدكتور بورز تمحيص أقوال الدكتور وتأنيدها في أحوال خاضعة للتدقيق العلمي »

أيدي سيدي لماذا أخالفه ؟ أخالفه لان الادلة لم تلبس — كما يقول هو — ثوب العلم والأشعة وتحول المادة الى طاقة وهلم جرا ... ، بل لان هناك قوماً لا يريدون ان يبصروا كرجال السينتك أميركان . ويقول الفرنجة « ليس هناك من هو أشد عمى من أولئك الذين لا يريدون ان يبصروا » . لقد أصبحت المسألة ياسيدي مسألة ميزان وترمومتر ومجهر واشعاعات وفوتوغرافيا ومخدع ولسن العائم الذي صورت به الكهارب ، والذي صورت به كذلك أرواح الحيوانات عند ذبحها !!

وأخالف سيدي لان عشرات بل مئات من أمثال الدكتور باورز قد وافقوا هذا الدكتور . أخالفه لان الاساتذة الجامعيين الذين اختارتهم مجلة « سينتك أميركان » محكمين أوائل في مباراتها الزمنة قد ألفوا بل حضروا في الروحية . أكتب هذا وأمامي كتاب أخرجته جامعة كلارك Clark الاميركية سنة ١٩٢٧ ، واسمه « المذهب الروحي بين التأييد

والعارضة» وفيه نصوص المحاضرات التي أُلقيت في هذه الجامعة بدعوة منها . وقد تضمنت بعض هذه المحاضرات المؤيدة للروحية البحوث الآتية :-

أولاً — « البحث الروحي كدراسة جامعية » للعلامة السيكلوجي الطائر الصيت الأستاذ مكدوجل أحد محكمي لجنة السينتفك أميركان

ثانياً — « هل يستحق البحث الروحي أدنى عناء ؟ — استعراض لقضية الوسيطة مرجري » للدكتور ولتر فرنكان برنس أحد محكمي لجنة السينتفك أميركان

ثالثاً — « البحث الروحي والفلسفة » للعلامة هانز دريش أستاذ الفلسفة في جامعة لينزج ورئيس جمعية البحوث النفسية البريطانية في ذلك التاريخ

رابعاً — « بعض الوجوه المنطقية للبحث الروحي » للعلامة شار أستاذ الفلسفة في جامعة اكسفورد

ولا داعي لذكر أسماء المحاضرين جميعهم من مؤيدين ومعارضين، ولكن ربما سر سيدي ان يعلم ان هذا الكتاب جمع أربعة عشر رأياً لأربعة عشر باحثاً وباحثة ، وان عشرة من هذه الآراء تؤيد الروحية ، واثنين لم يقتنع صاحبهما بعد الاقناع الكافي ، واثنين معارضان أحدهما المغفور له الساحر الذائع الصيت « هوديني » أو بالأحرى الوسيط الروحي المتساحر . وسأذيل كتابي « في العلم الروحي الحديث » الذي أعده للطبع بترجمة حرفية لهذه البحوث الأربعة السابقة

(٤) أرجو أي يفهم سيدي أن التهم الموجهة الى مجلة العلم والاختراع والعبقرية « سينتفك أميركان » التي تحظى من سيدي بالتأييد والدفاع الحار لم يوجهها أحمد فهمي ابو الخير ، وإنما وجهها اليها علماء اعلام ، وقد نشروها في الصحف والكتب المطبوعة بالانكليزية التي تفهمها هذه المجلة العظيمة . وأرجو سيدي أن يتم قراءة مقدمتي لكتاب باورز وارجوه كذلك أن يقرأ هذا الكتاب . وألفت نظره الى كتاب « مرجري الوسيطة » الذي ألقه رجل السينتفك أميركان وأحد محكميها الاوائل في مباراتها المزمنة ، العلامة مالكولم بيرد الذي نعتة المقتطف الاغر بأنه من أفذاذ العلماء المتبحرين في العلوم الرياضية . هذا الرجل الصريح الجريء لم يقف عند حد اعلانه صدق الظواهر بل تعداه الى اتهام زميل له في لجنة التحكيم — هو هوديني غفر الله له — بالغش والتدليس في عمله كحكم عادل . وقد كان الاتهام علناً وكتابة وفي مواجهة هوديني !

(٥) ليس غريباً قولي « تفنن خصوم الروحية تفنناً عجيباً في نشر آرائهم ودعاويهم الباطلة ، ووجدوا من الصحف صدراً رحباً لم يتسع الاتساع الكافي للمؤيدين كما اتسع للخصوم

المعارضين». وذلك حقيقي لان الصحف في مصر وفي غير مصر لم تتسع لنشر مقالات الروحانيين وردودهم كلها، واذا نشرت شيئاً تناولته بالتنغير والتحوير. وقد اضطر الروحانيون في الخارج الى انشاء صحف ومجلات خاصة بهم. وقد تساعد الظروف على مثل ذلك في مصر ان شاء الله في المستقبل القريب

ولا أريد أن أدلل على صدق قولي إلا بما تم لي مع المقتطف الآخر نفسه، ومع محرره الفاضل الاستاذ فؤاد صرّوف بالذات. حفصة الاستاذ الفاضل يذكر بالطبع اني بعثت له يوماً مقالاً عن العلاج الروحي يتضمن رأي أحد اساتذة الطب في إحدى الجامعات، وهو الدكتور باورز نفسه صاحب كتاب «ظواهر حجرة تحضير الارواح» فأبى أن ينشره واتصل بي بالتليفون وقال لي بالحرف الواحد «أرجوك يا استاذ أن تعفينا من نشر هذا المقال». ويعرف هذا ايضاً حفصة صاحب السعادة الدكتور فارس عمر باشا وقد تكرم «الهلل» الآخر فنشر خلاصة له بعد ذلك. ويلاحظ أن الرأي لطيب أي لرجل مختص. ترى لو بعثت لسيدى بتجاريبي في هذا الصدد ينشرها؟ إنها تجارب ناجحة مدعمة بشهادات أساتذة الطب في كلية الطب بمصر، وباعتراقات المرضى، وبالصورتوغرافية. وقد سجلت بعض هذه التجارب على شريط سينمائي صامت يمثل طرق العلاج، وعرضته أخيراً في محاضراتي. واني أتحدى بتجاريبي تلك كل طبيب في مصر وغير مصر، وأتحدى بها المقتطف الآخر وكل منكر — وهي تجمع بين الامراض العصبية والعضوية

وهل اذا ارسلت لسيدى صورة زنكوغرافية لبطاقة كان أرسلها الي استاذنا الكبير خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآخر يدعوني فيها لفحص حاملها ومعالجته بالطرق الروحية — وذلك بعد تلك الضجة المفتعلة التي يعرف سرها محررو المقطم والمقتطف — هل اذا أرسلت اليه هذه البطاقة ومعها اعتراف بالبراء بخط المريض وامضائه ينشر ذلك؟ ويلاحظ ان المريض هو الآن أحد وكلاء النائب العام

وهل اذا ارسلت له صورة فوتوغرافية لطبيب حكومي فاضل واقع في الغيوبة عندي في حجرة التحضير — هل ينشرها حتى يفرق المهاجون المهاترون بين الغيوبة الروحية والهستريا؟ وهل اذا سميت له بعض حضرات الأطباء الذين هيمنت عليهم الارواح في جلساتها فجعل البعض يرقصون ولم يستطع البعض الآخر حراكاً، والذين رأوا الأضواء تشع من أيدي الوسطاء ومن سقف الحجرة وجوها وأرضها حيث لا أجهزة مادية مرئية أو مخبوءة — هل ينشر ذلك؟ وهل اذا أرسلت اليه وصفاً مسهباً لما حدث لمتعلّم متعنت ملحد حضر إحدى جلساتنا لأول مرة فرأى الأضواء ثم هيمنت عليه الارواح فجعل يصرخ — هل اذا

بعثت هذا ينشره سيدي أم يقول « تلك مخافات أقوال وأعمال لمناقضتها لنواميس الكون » ؟ وكأن العلوم المادية قد أحاطت بكل نواميس الكون ! ويلاحظ ان ذلك كله خاضع كل الخضوع لنواميس لم يصل الى استجلائها العلم المادي واستجلائها العلم الروحي (٦) ويقول سيدي ان المسألة لا تحسم بالكتابة في الصحف بل في معامل البحث . وحسن هذا الذي يقوله سيدي ، ولكن لماذا يباح نشر ما يشكك الناس في القضايا الروحية ويمنع نشر الرأي المؤيد ؟ أليس في ذلك ما فيه من التجني على البحوث وعلى جمهور القراء ؟ ثم اذا حسمت المسألة ، وقد حسمت فعلاً ، أليست الكتابة في الصحف أو المجلات الخاصة هي الوسيلة الأولى للنشر ؟

وأرى سيدي لا يقف عند ذلك بل يطلب الى الحكومة حظر النشر عن بعض نواحيها أو معالجة بعض مسائلها بغير ضابط اتقاء لما قد يفضي اليه ذلك من ضرر مادي — (كالعلاج الروحي مثلاً) فيا سبحان الله ! لماذا لا يطلب سيدي كذلك الوقوف في وجه المادية التي تنشر الاحاد والفسوق جهاراً نهاراً ؟ ألم يبلغه نبأ اولئك السيكلوجيين ازاء ما سموه « عقدة اوديب » التي لا وجود لها والتي ذهبت الى حيث لا رجعة كزميلها « العقل الباطن » الزعوم ؟ ليتصور سيدي معالجا سيكلوجياً يتحدث الى عذراء مضطربة الأعصاب ، أو الى طالب قلق ، في العلاقة الجنسية ، ويهبط بالانسانية الى درك مسحيق من البهيمية المحقاء . لماذا لا يبدي سيدي هذه الغيرة الجالحة العلمية على الاخلاق يمزقها أمثال هذا المعالج شر ممزق ، وعلى العقول وهي تمهن مما أدى ببعض الذين عولجوا علاجاً نفسياً من هذا الطراز الى طلب الانتحار ، وإلى آلام عقلية مقلقة مفاجئة حتى لقد قدمت فعلاً شكاوى الى وزارة الصحة ؟ لماذا لا تظهر هذه الغيرة العلمية على حماية الأخلاق والعقول الاضد الروحية التي تحمي الأخلاق والعقول ؟

ليت الديمقراطيات الكبرى سمعت هذه الصيحة الداوية فعمطت الصحف الروحية أو منعت على الأقل شركة الاذاعة البريطانية أن تذيع في كندا محاضرة في صميم الروحية ألقاها العالم (Hayward) هايوارد بدعوة من لجنة التعليم الاقليمية حملها اليه العلامة كيرستيد Kirstead أستاذ السيكلوجيا باتحاد الكليات ، بل ليت الحكومة الفلسطينية سمعتها كذلك فحالت دون تأسيس جمعية روحية في مدينة حيفا برئاسة طبيب فاضل هو الدكتور قيصر خوري ، وأغلقت نادي هذه الجمعية ومكتبته التي تحوي مجموعة كبرى من الكتب الروحية . وربما سر سيدي ان يعلم ان هذا النادي المعد لاستحضار الأرواح مصرح به رسمياً

من حكومة فلسطين منذ أربع سنوات واسمه « نادي سان تريز لمناجاة الأرواح »
 لقد استطعت في محاضرتي عن « الروحية والجريمة » التي أقيمت في نادي القضاة في فبراير
 الماضي وفي محاضرتي عن « الأحلام » وعن « الموت الظاهر ودفن الأحياء » اللتين أقيمتا في نادي
 المعلمين ونادي جمعية الشبان المسيحية أن أهدم إلى حد بعيد تلك النظريات المادية والسيكولوجية
 المتغلغلة ، وأثبت الدليل على إمكانية التواصل الروحي وعلى الاختصاص في محاضرة « الروحية
 والجريمة » مأخوذاً من سجلات المحاكم الانكليزية والفرنسية والأميركية ، وذكرت بعض
 مآزقه « ديلي اكسبرس » و « ساينك نيوز » وغيرهما من الصحف وما عثرت عليه من
 مدونات مكتبة بودليان بأكسفورد — مما يثبت التواصل الروحي ، وكيف أدت تبليغات
 الأرواح إلى الحكم بالاعدام ، وكيف ظهرت الروح مجسدة في إحدى جلسات المحاكمة ،
 وأثبت القاضي والمحلفون ذلك في محضر الجلسة
 وقد يكون هذا كله غير متفق وذلك « الأسلوب العلمي » الذي يرتضيه سيدي ، ولكنه
 على كل حال برهان مادي مسكت

(٧) وختم المقتطف الأغر تعليقه بما كتبه عن التواصل الآلي بين عالم الروح وعالم المادة
 وحين يقول سيدي بعد تجربته الوساطة والوسطاء أن العلم لم يصل بعد إلى إثبات التواصل
 بين العالمين ألا يفهم من قوله أنه إنما يريد التواصل الذي يتم بالأجهزة والآلات دون الوسطاء؟
 سيدي سيدي إن شاء الله في كتابي « في العلم الروحي الحديث » الذي أعده للطبع فصلاً
 مترجماً لباحث كبير أجرى تجاربه في أصقاع متعددة ، ومع وسطاء كثيرين ليسوا من أهل
 الفاقة والضعة ، وبسطها في كتاب اسمه « الأحداث الروحية في أنحاء العالم » . وقد ظهر هذا
 الكتاب في آخر سنة ١٩٣٩ ، وهذا الفصل عنوانه « الظواهر الروحية في ضوء العلم الحديث »
 وفيه شرح مستفيض للأحداث الروحية في ضوء العلم الحديث المتعارف ، وختمه بذكر أقوال
 بعض علماء عاميين طالما استشهد المقتطف الأغر بأرائهم في الذرة والكهرباء وما إلى ذلك
 من أمثال كروذر Crowther وبلفور وغيرهما من الأساتذة الحاليين في جامعات جونز هوبكنز
 Johns Hopkins وليك Lick وريدنج Reading ومكجيل Mc. Gill

ولا يفوتني أن أقول أن الوسطاء الذين يستخدمون الروحية للنفع المادي يفقدون وساطتهم
 ويفقدون حياتهم أحياناً كما حدث لهوديني الوسيط المتساحر مما سأشرحه بأسهاب في كتابي
 « العلم الروحي الحديث » — سيان في ذلك أهل الفاقة والضعة منهم أم أهل الغنى والرفعة
 لأن أساس الروحية الصدق والأمانة ومحبة الغير وخدمة الغير . وحالة الشيخ سليم الطهطاوي
 خير شاهد على ذلك فقد عاش فقيراً ومات فقيراً ، وكان يجيء في طرفه عين بالذهب الوهاج

بشرط أن لا يمد أحد يده إليه ثم يعود به امام بصر الحاضرين وسمعهم الى مصدره فيخفي في طرفه عين

ولا يفوتني كذلك أن أقول أن من بين الوسطاء المصريين طبيبياً حكومياً ، ومهندسين حكوميين ، وموظفين وعمالاً — وكلهم قانعون بالوساطة العفة الراقية البعيدة عن المادة التي يعيها كثيرون من الناس . وأعود فأطلب الى سيدي ان يقرأ الكتب الروحية فيقف على الحقيقة في هذا الصدد . وفي كتابي « على حافة العالم الاثري » و« ظواهر حجرة تحضير الارواح » ما يقنع سيدي ان اراد أن يقتنع

(٨) بقي أن أؤكد لسيدي أنني أستطيع ولو الى حد ما أن أفهم ما أقرأ وما أكتب وأقول انني فهمت مما كتبه المقتطف في الروحية انه يميل الى ناحية الانكار ، وان هذا الميل منه قديم . ومن غريب المصادفات ان تقع في يدي حديثاً نسخة مطبوعة في مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٢٨ لمحاضرة عنوانها « علم الروحيات الحديث » ألّفها الاستاذ الشيخ محمد المأمون الارزنجاني في الجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٤٦ هجري ، أي منذ أربعة عشر عاماً ، وذلك بدعوة من الجمع العلمي العربي نفسه . وما أخذته على المقتطف الاغر أخذه عليه ايضاً الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو الجمع العلمي العربي حين قدم المحاضر للمجتمعين ، فقد قال عن المقتطف « ان محرره العلامة الرحوم يعقوب صروف كان يعني ببسط هذه المباحث في مجلته لكن لا ليؤيدها ويثبت صحتها بل على العكس ليبطلها ويزيف أدلتها . وكان يقول : ان جميع من يذهب الى صحة استحضار الارواح من علماء اوربا المعروفين بالصدق هم لسلامة صدورهم ينخدعون فيصدقون »

وقد علق الاستاذ المحاضر على هذا القول بكلام يؤيده ولا داعي لذكره فقد لا يستحب سماعه . ولا يفوتنا أن نقول ان الاستاذ المحاضر درس في تركيا وأوربا والهند هذه العلوم دراسة علمية عملية ، وحضر معظم المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض ، وله تجارب كثيرة وبعد فلعلني أكون قد وضعت الامور في نصابها ، وأرجو ان يتسع صدر المقتطف الاغر فينشر كلمتي هذه عملاً بجزية النشر

احمد فهمي ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

٢٠ ابريل سنة ١٩٤٢

[المقتطف] ان تعبير « عملاً بجزية النشر » تعبير مظلوم او هو تعبير يُتوسل به احياناً الى ظلم اصحاب الصحف ومحرريها . ولو تفضل كل مؤلف يرسل كتابه الى المقتطف لمراجعته ، في باب « مكتبة المقتطف » بالرد على مراجعته ، في سبع صفحات طوال ، وهو رد يقتضي على الغالب ردّاً من الصحيفة لوجب ان نقف المقتطف على الكتب وردود اصحابها او لوجب ان يقف المقتطف عن الصدور

ان اللباب في كل ما قاله الأستاذ ابو الخير، هو ماهية « الدليل العلمي » الذي نقبله في مسائل الروحية وهي المسائل التي يقول الأستاذ فيها « وليلاحظ ان الأسلوب العلمي الذي اتبع في الكشف العلمية الاخرى قد اتبع في الكشف الروحية بقسوة، وفي بعض الأحيان بحماسة فاقت كل معروف الحماقات . . . »

اذا كانت مسائل الروحية خاضعة لأساليب البحث العلمي، والدليل فيها ليس من طبقة أخرى من الأدلة^(١)، فيجب ان يكون الاعتماد في قبول حقائقها او الآراء والمذاهب فيها او رفضها، على ما يعتمد في علوم الطبيعة والكيمياء والطب والحياة

والطريقة المتبعة، هي ان معاهد البحث في الجامعات او الشركات الكبيرة او غيرها من الهيئات الخاصة والعامة، تضم علماء شهد لهم أقرانهم بمزايا معينة في ناحية ما من نواحي هذه العلوم. فاذا توصلوا الى كشف حقيقة جديدة، او الى وضع رأي طريف، نشروا ذلك في المجلات العلمية المختصة الخاصة بعلمهم، او المجلات العلمية الرفيعة المقام التي تخصص لهذا الغرض. وهذا النشر يتيح لغيرهم من الباحثين في شتى اقطار الارض ان يمتحنوا ويمحصوا ما يقال وان ينشروا بعد ذلك ما يثبت لهم من تأييد او تفنيد او اقتراح بتصحيح وتعديل او قد تتلى رسالة عالم او باحث في جمعية علمية مختصة او مجمع علمي عالي المقام. وبعد التلاوة، تنشر الرسالة او ملخص دقيق منها في هذه المجلات. والتلاوة في الجمعية العلمية المختصة او المجمع العلمي، لا تكون الا بعد عرضها على جماعة من الاعلام ليحكموا. في هل فيها ما يستحق التلاوة والنشر، بغير ان تكون الموافقة تأييداً لقول صاحبها وان كانت اعترافاً بمنزلة القول بين المجلات المختصة مجلة كالمجلة الطبيعية The Physical Review، وأشباهاها، ومجلة « اللانست » The Lancet الطبية وأشباهاها. وبين الجمعيات المختصة « الجمعية الرياضية » او « الملكية » في انكلترا وأشباهاهما. وبين الجامعات العامة العالية المقام الجمعية الملكية The Royal Society في انكلترا. وهناك ما يقابلها جميعاً في بلدان اخرى منزلة وشأناً. وبين المجلات العلمية الشاملة العالية المقام نايتشر Nature في انكلترا وسينس Science في الولايات المتحدة. فكل ما يتلى في هذه الجمعيات وما كان من مقامها، وما ينشر في هذه المجلات وما كان على منطها، جدير بكل احترام

أما المجلات العلمية الاخرى مثل « دسكفري » و « السينتفك اميركان » و « رسالة العلم الاسبوعية » وما أشبهه ففي مقام تال لما تقدم. وان كان فريق من كبار اساتذة العلوم

(١) قد يوصف السكون وصفاً علمياً فيكون الدليل العلمي هو السند. وقد يوصف وصفاً فنياً فيكون الاعتماد على نوع آخر من الدليل ركناه التأمل وحس الفنان الموهب وما طبعتهان مختلفتان والاعتراف بهما واجب

يكتبون فصولاً فيها مثل العلامة الأستاذ نوريس رسل وفصوله الفلسفية في السينتفك اميركان . وهي تقرب العلم بأسلوب سائغ يصح الاعتماد عليه بوجه عام وعليه نعتد على الأكثر في النقل والتلخيص . فعندما نطلع في مجلة نايتشر وسينس على رأي في مذهب علمي نغني به . وعندما نطالع فيهما ما يشير الى تأييد الرأي من مصادر علمية محترمة شتى ، نقبله ، ولا سبيل لنا الا ذلك فليس في وسع أحد أن يحكم بنفسه على كل جديد في كل علم مهما يبلغ علمه . ولما كان الأستاذ ابو الخير ، قد حتم أن الاسلوب العلمي ، هو المتبع بقسوة في المسائل الروحية ، وان المسألة « مسألة ميزان وترموتر ومجهر واشعاعات وفوتوغرافيا ومخدع ولسن الغائم ... » فقد كان من المنتظر ان تنقل الينا مجلة كنياتشر او مجلة كسينس ، طرفاً من هذه المباحث العلمية ، وأساليبها ونتائجها . ونحن نطالع هاتين المجلتين ، وان كانت المطالعة غير منتظمة الآن ، ولم نَرَ فيهما ما يحملنا على مشاركة الأستاذ ابو الخير قوله ان مسائل الروحية — وما أكثر نواحيها — « قد حسمت فعلاً » ، وذلك بغير ان نقول ان العلم ينفيها فالعلم كما قلنا مراراً لا يستطيع ان ينفي ما لا يحيط به . ونحن نفضل ان نأخذ آراءنا في المسائل العلمية عن نايتشر ، على اخذها من الديلي اكسبرس

ولسنا ندري حقاً كيف يستطيع الأستاذ ابو الخير التوفيق بين ما يقوله عن تطبيق الاسلوب العلمي « بقسوة » و « حماقة في المباحث الروحية » ، وبين ما يقوله عن الشيخ سليم الطهطاوي واستحضار الذهب ، لأن الشيخ على ما روى الأستاذ ما كان يسمح لأحد بمد يده الى الذهب . فكيف يكون الحكم علمياً في هذه الحال ، وأساس العلم الممس والوزن والقياس والتحليل ؟ اما ذكر عدد الكتب المطبوعة ، وانشاء « كراسي » في الجامعات العريقة ، واذاعة احاديث بالراديو ، فدليل على الاهتمام بموضوع ما وليس دليلاً على صحة ما تحويه الكتب ، او يذاع في الاحاديث . ولم يقل أحد ان مسائل الروحية ليست جديرة بالعناية ، بل العناية بها واجبة ، وإتاحة البحث الصحيح فيها ضرورة لا مفر منها . وعلى كل حال فان المجلات العلمية التي تقدم ذكرها تعهد الى اكبر العلماء في مراجعة المؤلفات التي تصلها من جميع انحاء العالم ولا نذكر في ما طالعناه من هذه المراجعات كتباً كثيرة مما اشار اليه الأستاذ ظفرت بالثناء على سلامة طريقتها ونتائجها . ولعل كتاب الأستاذ رين Extra-Sensory Perception مستثنى من ذلك على ما نذكر وهو في « التلبيث » وتناجحه لا تزال في حاجة الى مزيد من البحث ولكن أسلوبه علمي

اما الواقعة الخاصة بنشر محاضرة الأستاذ ابو الخير في « العلاج الروحي » فصحيحة بخلافها وباعتنا على طلب الإغفاء ، كباعتنا على القول « بحظر النشر عن بعض نواحيها عندنا او معالجة بعض مسائلها بغير ضابط اتقاء لما قد يفرض اليه ذلك من ضرر مادي » ، هو الرغبة في الخير العام

ولسنا في حاجة الى إقامة الدليل على تأييد موقفنا من منزلة الحرية في الارتقاء الفكري وان الدفاع عنها تبعة واقعة على كل مثقف . ولكن اذا خاضت أمة حرب موت وحياة ، نزلت عن كثير من حرياتهم المقدسة ، في سبيل الكفاح لاحتراز الظفر . ومصر في كفاح مع المرض ومع الجهل والدجل في علاجه . ورجال مدرسة الطب ووزارة الصحة ، يعانون الأمرين لتدريب الشعب ، على الأخذ بأساليب الصحة التي أقرتها علوم الطب ، وبالعلاج على أيدي الأطباء المدربين ، والانصراف عن الدجالين والأوهام . فاذا عهدنا ونحن في غمار هذا الكفاح الى النشر بأن فلاناً يشفي بالارواح أمراضاً استعصت على أمهر الأطباء ، كانت العاقبة : إصابة مساعي رجال الطب والصحة عندنا بصدمة قوية واتاحة الفرصة لنفر من أذكاء الدجالين — وهم كثير — للسيطرة على أناس عرفوا ببساطة القلب . ولما كانت الامراض المتفشية كثيرة في هذه البلاد ، فاننا طبعاً نفضل تيسير النجاح لمساعي الهيئات الطبية في البلاد على أن تتاح الحرية لنشر كثير مما قد يكون له سند ومما ليس له سند في الصحف والمجلات ولو كان في ذلك بعض الظلم والتحكم . وبعض الأمراض ولا ريب يعنوا للعلاج النفسي ، ولكن المجلات الطبية المحترمة ، لم تقل لنا بعد أن « العلاج الروحي » أصبح ذا منزلة بين أساليب العلاج المختلفة . وقد يكون العلاج الروحي على يد الاستاذ أبو الخير ، صحيحاً مفيداً ولكن قد يصبح ادعاؤه في أيدي غيره مناحاً ضاراً بجمهور كبير من الناس بقيت مسألة السيكولوجيا الحديثة ونحن نذكر أن العلامة مكدوجال التي خطبة الراسة الأولى في قسم السيكولوجيا الجديد في مجمع تقدم العلوم البريطاني عندما اجتمع في جامعة تورنتو سنة ١٩٢٤ وقال في مستهلها ان « علم النفس » قد استقل عن الفلسفة . فصار واجباً أن تعرض المذاهب المختلفة فيه . وأن تقوم فيه نظريات وآراء لا تثبت على البحث في السنوات التالية لا يضيره ولا يضير الذين يصفون هذه المذاهب . ففي العلوم الطبيعية شيء من هذا كثير والاستشهاد بالاستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربي على زعة المقتطف في هذه المسائل حسن ، فللاستاذ رأيه . ولكن الاستشهاد به لاستخراج من كلامه دليلاً على نية الرحوم الدكتور صرّوف خطأ . فالدكتور صرّوف كان يحكم عقله في ما يراه ويشاهده بنفسه ويطالع من هذه المسائل . وعقله لم يقتنع على الغالب بصحتها . فكان يقول ذلك . وكان هذا واجباً عليه ولكنه كان شخصياً يتوق الى قيام الدليل المقنع على صحة بقاء الارواح . ولعل الاستاذ الشيخ عبد القادر ، لم يكن يعلم هذا ، واذا كان فعلاً قد قصد في ما قاله ورواه الأستاذ أبو الخير ، الى الحكم على نية الدكتور صرّوف فلعله يهمل ان يعرفه الآن ولا نخال القراء الا موافقين على أن تلميح الأستاذ أبو الخير وتعرضه في غير مكان من رده غير جديرين به كعالم ولا بالالتفات اليهما في بحث يتناول أهم مسائل الحياة والعقل وأعقدها



مكتبة المقتطف

عبقريّة محمد

للاستاذ عباس محمود العقاد — المكتبة التجارية الكبرى — ٢٩٦ ص ، القطع الصغير —
مصر ١٩٤٢

إن نشأة الدين الحنيف ووثبة الملة الإسلامية مما شغل الاقلام ويشغلها أبداً ، وذلك لعظمة ذلك الحادث التاريخي الى جنب غرابته ، والغرابة في سرعة استواء الدين ومدى وثبة الملة . وقد انصرف المؤرخون والفلاسفة والادباء الى التبصر في هذا المطلب قديماً وحديثاً ، سواء في أوربة أو في الشرق العربي . وهذي ثمانى سنوات تخرج فيها التوايف المختلفة في مصر باحثة عن « حياة محمد » و « سيرته » وغير ذلك

وميزة كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد أنه ولج الموضوع من باب مستجد ، وهو باب نفسية النبي العربي . فلم يسرد وقائع التاريخ ولم يجمع حوادث السيرة ولم يتعرض لأوضاع الدين بشرح أو تاويل أو تقرير ، ولم يجادل عن الرسالة ولا عن احكام القرآن ولم يستخرج الخبائات ويستقص الاطراف ^(١) ولم يشأ — على ما يؤكد في المقدمة — ان ينبري للخصوم فيكمر الحجج ويفند الأقاويل وان حداه الحديث الى مثل هذا في تضاعيف الكتاب ^(٢) . ولكنه أراد بما كتب ان ينفذ الى روح النبي فيستشف لطائفها على اختلاف ألوانها . وفي هذه الروح مستقر الانسانية ومنها منبثق العبقريّة . ولذلك تجد الرسول على قلم العقاد عظيماً في جانب الدين وجانب العلم وجانب الشعور ، ولولا عظمتها ما كان ليخرج قومه من دنيا الى دنيا وما كان لينشر فيهم ذلك النشاط الذي بوأهم في الايام اللاحقة مكانة محسودة

وقد نجح الأستاذ العقاد بحذقه المعهود أن يجعلنا نجس تلك العبقريّة الفعالة في نواحيها المتعددة . وطريقته في هذا ان يستعرض الحقائق التاريخية والنصوص من خلفها ماثلة بقوة ، وان يرسل عليها اضواء التبيان المنطقي من غير اعتساف ^(٣) وان يضيف اليها بعض خلاصات

(١) غير انه ربما قيد الشارد ، مثال ذلك الحديث الثاني الذي في ص ١٧٨ (٢) مثلاً ص ٥١ ، ١٩٢

(٣) انظر الى ابداله « حقائق التاريخ وحوادث الكون » من بشائر النبوة التي في المنقول ص ٢٩ — ٣١

التجارب الانسانية ، فتساق المائل وتتجاوز الأغراض . وكان في الحسبان ، بعد هذا ، ان يسوق المؤلف سيرة الرسول بحيث تشع من جنباتها انوار العبقريّة ، كما صنع بعض الكتّاب الا فرنج يوم عرضوا العيسى (مثلاً E. Ludwig) ، ولكن الاستاذ العقاد عدل عن التركيب الى التحليل ، فجزأ شخصية النبي ، فتناوله داعياً فصيحاً وسيماً واثقاً من نفسه مؤمناً غيوراً على رسالته ، وجندياً لا يفرغ الى القتال الا اضطراراً فاذا جاهد أحكم فن القتال بالالهام والبصيرة وأبلى بلاء الابطال المغاوير ، وسياسياً يعزم على الأمر الفاصل بأناة والمعية ومداورة لطيفة ، ومديراً يدفع الفوضى والاختلال بتدبير عادل قائم على السلم والارضاء ، وبليغاً أخذاً للقلوب ملاكاً للالباب بفضل الفصاحة التي في لسانه وادائه ، وصديقاً أحب وأخلص ورحم وسمح ، ورئيساً تسامى عن الظلم والاستبداد ، وزوجاً رفيقاً ليلاً عرف قدر الصفا والوفاء والمودة والاستئناس في هناة الحياة الزوجية ، وأباً حزن على ذهاب ابنه الطفل بقدر ما فرح بمولده فتأججت النار في صدره وهو لا يصرخ لأن « الصراخ من الشيطان » ، وسيداً رحيماً مجاملاً متواضعاً منزلاً نفسه منزلة العبد ، وعابداً انصرف إلى التفكير في خلق الله دون ذاته لأن التفكير في ذات الله مرهون بالايمان وايمان محمد قوته وسلاحه صلاته ، ورجلاً طيب الخلق رحب النفس يتفكه ويمزح ويأنس بالضعيف والمكروب على هذا النحو عرض الاستاذ العقاد مناقب النبي العربي فحسن حديثه سوقاً وتبييناً وتفصيلاً ، وان قال هو في خاتمة المقدمة : وحسبنا من كتابنا هذا ان يكون بنائاً تومى الى تلك العظمة في آفاقها ، فان البنان لأقدر على الاشارة من الباع على الاحاطة ، وأفضل من عجز المحيط طاقة المشير . فانها لبسان غير رجافة

ب . ف

فيض الخاطر

للاستاذ أحمد أمين . الجزء ٣ ، ٣١٢ ص ، القطع الكبير . لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر ١٩٤٢

للاستاذ أحمد أمين يد مشكورة في تنشئة هذا الجيل . فقد وقف لذلك المسعى همة موفورة تجلت في ناحيتين : التعليم والتأليف . وفي كلتا الناحيتين تصيب عميد كلية الآداب صادقاً في الاداء أو النقل ، بصيراً بالتوقيف أو التوجيه . وما هو بالكاتب الموهل في اغراق . ولكن في نفسه قام انه عليه أن يفيد وان ينبه ، وما هو ذا لا يقعد عن الافادة والتنبيه . ومما جنح اليه الآن تسطير المقالات في المجلة التي يشرف على اخراجها وهي « الثقافة » . وقد جمع هذه المقالات في « فيض الخاطر » ، وهذا الجزء الثالث يخرج وفي طياته أحاديث عليها طلاوة وبها نفع . وانما تجري في جملتها الى غايتين : الأدب والاجتماع . وفي الأدب بذل

للقوائد تارةً واستثارة للدفائن أخرى وابتكار ثالثة . فمن الابتكار مقال في « نداء الباعة » ترى المؤلف يشق لك فيه أفقاً لطيفاً ما كنت لتفطن اليه ، ومداره ما في نداء الباعة المتجولة وغير المتجولة من استعارات وكنيات وتشبيهات ثم من لغات ومدات . وألطف من هذا ان يعمل لك المؤلف سبب كل ذلك ، كما يعمل ايضاً مواضع القبح في ذلك النداء وفي عرض السلع — ومن استثارة الدفائن ما كتبه في شأن « أول مجلة مصرية » وهو يعارضها بمجلات اليوم فيقيس الطريق الذي قطعناه ثم يستخلص منها الحالة الأدبية التي سادت في ذلك الزمن . ومن ذلك ايضاً ما سرده من قصة « الشيخ الدسوقي والستر لين » مما تستوضح بها أخلاقاً وعادات خاصة بمصر لتسعين سنة خلت — ومن بذل الفوائد ما تراه في « التعليم والتطعيم » ، وهو أنه لا بد من مراجعة الأدب العربي القديم وتناوله بالتشذيب والتهديب بحجارة لهذا العهد من حيث المعنى والمبنى جميعاً ، مع تعويض الذاهب بادخال فنون جديدة على أدبنا ، مثل تحليل الشخصيات العظيمة ونسج الشعر الرفيع وسياقة القصص الشاغلة للبال . ومن الفوائد ايضاً ما بذله المؤلف في « الرمز في الادب الصوفي » وهو حديث مبسّط جلي وأما جانب الاجتماع فيبين العام والخاص . والعام نحو مقال في « الديمقراطية والارستقراطية » وأما الخاص ، أي الخاص بمصر ، فما قاله المؤلف في « الاغاني المصرية » مندداً بما انتهت اليه من الرخاوة والميع والتفكك ، وما قاله في « أوقات الفراغ » عائباً على المصريين اضعافهم للوقت وانصرافهم عن الجد الى اللهو وتهاونهم بالغذاء العقلي والروحي الى غير ذلك مما يحط بنا عن درجة الذين يجدون فيصلون

ذلك بعض ما في هذا الكتاب المتنوع ، المفيد . ويزيد في قدره أسلوبه السهل المتباعد عن التعمل والتشدد ، وهو حقيق بأن يطالعهُ الراغب في التزود من الادب المثقف بغير عناء

ب . ف

خارطة في سماء مصر

هو أطلس فلكي صغير باللغة الانكليزية مفيد جداً للذين يودون أن يعرفوا مواطن النجوم والكوكبات Constellations التي تظهر في سماء مصر وفي جميع البلدان التي تقع في خط العرض الذي تقع فيه مصر ، على مدار السنة ، وأسماءها . فهو يشتمل على ست خارطات باللون الأزرق ومواقع الأجرام وأسمائها بالحروف البيض . وكل خارطة تشتمل على شهر ونصف الشهرين السابق واللاحق . فبنظرة الى هذه الخارطة في الشهر الذي أنت فيه ومقارنتها بمواقع النجوم في قبة السماء الصافية تهدي بكل سهولة الى النجوم المسماة في الخارطة

أطلس جميل لا يهمل طلاب علم الفلك فقط ، بل يلد ايضاً لسكل واحد من الناس يتوق أن

يعرف شيئاً عن السماوات التي تحدث بمجد الله وتجبر بعمل يديه . وقد ألحقت بهذه الخارطات شروح علمية فلسفية عن حركات الاجرام . وقد طبعته مصلحة المساحة المصرية . ووضعها الدكتور هرست مدير قسم الطبيعيات والدكتور محمد رضا مدور ومعاونها الاستاذ سماحة افندي في مرصد حلوان . وهو يباع بعشرة قروش في مكتبة شندل في شارع المدابغ في القاهرة وفي جميع المكتاب في مصر . وایراده يتحول الى خزينة المال المخصص للترفيه عن الجنود

زميل التوجيهي

وضع هذا الكتاب الاستاذ محمد عاطف افندي البرقوقي خريج جامعة برستول ومفتش العلوم بوزارة المعارف . وشاركه في وضعه الاستاذ احمد افندي ابراهيم المدرس الاول للعلوم بالمدرسة الابراهيمية . وقد توخيا فيه اعانة الطالب في اتقان الاجابة في الامتحانات . وهو يمتاز على اشباهه من كتب الامتحانات بما احتواه من الارشادات العامة في كثير من الاوليات والقوانين العلمية التي قد يفوت الطالب فهمها في اثناء دراسته ، لانها مشتتة في ثنايا الكتب التي يدرسها حتى اذا احتاج اليها فلا يدري كيف يهتدي اليها . ولكنه يجدها في هذا الكتاب بسهولة في كل فرع من الفروع مسبوقة بتعريفات ومصطلحاته . وهناك نماذج للاجابات تبين للطالب الطريقة في كيفية الاجابة . وقد انتقى المؤلفان أسئلة متعددة وأجوبة تعد دراسات نفيسة في أهم مسائل العلوم الثلاثة التي اختص بها هذا الكتاب وهي الطبيعة والكيمياء والميكانيكا . ولا ريب في ان هذا الكتاب يسدي الى الطالب يدأ بتلقيه المعرفة الصحيحة الواضحة ويسهل له دراستها والاجابة عن أسئلتها . فهو اذاً خدمة وطنية جزيلة النفع للناشئة . فنثني على عمل المؤلفين الجيد . ونوجه نظر الطالب اليه لكي يغنم الاستفادة .

امتناع الاسماع

للمقريري — ج ١ . صححه ونشره محمود محمد شاكر — ٦٨٦ ص ، القطع الكبير —
لجنة التأليف والترجمة والنشر — مصر ١٩٤٢

هو امتناع الاسماع بما للرسل من الالبناء والأموال والحفدة والمتاع للمقريري تقي الدين احمد بن علي . وقد وقف على طبعه وضبط الفاظه ، وأوضح مشكلاته وقسم موضوعاته الاستاذ المتمكن محمود محمد شاكر في كثير من الدقة والتبيين . ثم عمل له فهرس متعددة على نحو ما يجري الآن في اخراج الآثار العربية في مصر وغيرها : للاعلام ، والأماكن ، والايام ، والغزوات ثم للكتّاب . غير ان في صدر هذا الفهرس الاخير ، أن المصحح الكتاب مقدمة وان للدكتور طه حسين كلمة ، فلم نعر عليهما

وقصة خروج هذا الكتاب ان السيدة الكثيرة البرّ قوت القلوب هانم الدمرداشية تبرعت للجنة التّأليف والترجمة والنشر بمبلغ كبير من المال في سبيل نشر كتاب تاريخي ، فوق اختيار اللجنة على هذا الكتاب . وهو اختيار حسن لما يضمه الكتاب من الفوائد وما يبذله من المعارف فهو جامع لأحوال النبي العربي جمعاً كافياً ، ولاغنى عنه لمن يريد تعقب سيرة الرسول واستبطن كنه رسالته . وفيه من مخبّات التاريخ ما يسرّ المستطلع المتوغل وفيه من التحقيقات ما يطمئن اليه الباحث المستوثق

قصص علماء الطبيعة

تأليف الاستاذ محمد عاطف البرقوقي — مفتش العلوم الطبيعية. بوزارة المعارف

٥٠ صفحة قطع وسط — مصورة — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ما انكف الاستاذ محمد عاطف البرقوقي يسدي الى تدريس العلوم الطبيعية بالعربية يدأ في اريد . فمن «تبسيط الاسلـكي» الى «قصص العلماء والمخترعين» الى كتيّب «المهندس الصغير» الى هذا الكتيّب الجديد في قصص علماء الطبيعة الذين توفروا على دراسة خواص المادة

ولفظ «الكتيّب» لا يُشير إلّا الى حجم الكتاب ، وأما فائدته فلا تقاس بعدد صفحاته . هنا تبسيط لسير سبعة من أعلام علماء الطبيعة ، أرخميدس ونيوتن وروبرت هوك وباسكال وتوريثلي وأوتوفون جريكا وروبرت بويل ، يطالعها المبتدئ في دراسة علوم الطبيعة فتجيب اليه حقائق هذه العلوم وسير رجالها فيقبل عليها يحمدوه الشغف ويطلب الامتزادة فلا يشعر عندما تتعين عليه دراسة المطولات بأن الدراسة مفروضة عليه فرضاً وحسب وهذا اسلوب في التربية العلمية يجب ان يفوز بما هو جدير به من تشجيع رجال التعليم في الاقطار العربية

قال المؤلف « وقد عنيت في هذه القصص بنشأة العلماء وتحليل خلقهم وأشارت الى تاريخ بلادهم في عصورهم اوبيّنت الظروف التي أدت الى كشوفهم وبسطت في ثنايا القصص الحقائق والمخترعات التي كانت سبباً في تخليدهم فأصبحت القصص بذلك تجمع بين لذة القصة وفائدة العلم ، وتضم طرافة الحوادث مع توضيح الحقائق ، والعلم المؤسس على التشويق والرغبة اثبت من العلم المبني على الاستظهار والرهبة »

وسيلي هذا الكتاب كتب اخرى تضم قصص علماء نبغوا في دراسة نواح اخرى من العلوم الطبيعية

الرجال منافقون وقصص أخرى

بقلم الأستاذ محمود كامل المحامي ، نشرتها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

في ١٦٠ صفحة من القطع الوسط

الأستاذ محمود كامل من أقدر كتابنا القصصين على تصوير المجتمع المصري الجديد ، المجتمع الذي اختلطت فيه المدنية الحديثة ببقايا آثارنا التقليدية ، ومن أروع المصورين لآثار الانقلاب الخلقي الذي ينشأ عن هذا الخلط العجيب والنتائج التي تترتب عليه . وقد حفلت مجموعات قصصه العديدة التي أصدرها بصور من هذا اللون

ولقد أراد في مجموعته الجديدة التي أخرجها بعنوان « الرجال منافقون » أن يعالج «لونا» من الألوان الاجتماعية التي تتميز بها الحياة المصرية . . . هو الذي يبدو في التفاوت الكبير بين الشاب المصري الذي تلقى تعليمه في مصر أو في أوروبا وكثر تردده على نوادي الرياضة « وصالونات الشاي » و « علب الليل » وبين الفتاة المصرية الجديدة التي بدأت تتلقى نفس برامج الدراسة التي يتلقاها زميلها كما بدأت تنال ألقاب الجامعة العلمية وتشق لنفسها طريقاً في معركة الحياة »

أظهر المؤلف في قصصه الست التي ضمها هذه المجموعة ووحدت بينها الفكرة ، هذا التفاوت فلقد طعمت الحياة العصرية الشاب المصري بنوع من النفاق صقلته سهرات الليل مع فتيات الهوى وأحاديث المقاهي في حين ظلت روح الفتاة المصرية رغم المظهر العصري الخارجي شرقية التفكير والميول والاتجاهات النفسية فكانت ضحية هذا التطعيم وجر عليها عبث الرجل ونفاقه وما تدفع اليه مظاهر الحياة العصرية التي تتلقاها دون تريث ودون تنقيح ما جرّت من الويلات والشورور

فنحن نرى في كل قصة من هذه المجموعة كيف زلّت المرأة وكيف انحدرت أو كيف حاولت انقاذ نفسها من بين برائن العبث الذي انطبعت عليه روح الرجل متأثرة بما صبغتها به ألوان جديدة أفقدت روحه لونها الشرقي وشهامتها الشرقية

وقد قصد المؤلف من وراء ذلك أن ينبه نظر المصلح الاجتماعي الى هذا الخطر الداهم وليبين أن من الواجب التفكير في وضع قيود اجتماعية وتشريعية للحد من حرية (الرجل) الطاغية حتى يمكن النهوض بمستوى الخلق الاجتماعي من هذه الهوة التي يتردى فيها . وأنه لمجهود من المؤلف نبيل القصد طيب الغاية يضاف الى جانب مجهوده الأدبي في عالم القصة وهو مجهود غير مجهود

الصيرفي

أغاريد ربيع

ديوان فؤاد بليل

ظهر حديثاً ديوان شعر بهذا العنوان للشاعر الشاب المرحوم فؤاد بليل الذي غالته المنون غير متجاوز الثلاثين ربيعاً

في الشعر ينظر الى أمرين : أحدهما مادي وهو الصناعة او الصياغة . والثاني معنوي وهو الأفكار والآراء والخواطر التي يتغنى بها الشاعر . فن حيث الصياغة نرى في « أغاريد ربيع » قصائد رنانة تبلغ بعضها طبقة عالية من حيث اشراق الديباجة وجودة السبك والتعبير وقد شهد بذلك شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران فقال : « . . . يصوغ ذلك الشعر بقدر ما تتمكن فيه الملكة صوغ الماهر الذي كان في طريق العبقرية لو فسح له في الأجل » وكان فؤاد بليل من المجددين ولكنه لم يعمد الى التجديد الا من طريق وصفه للحوادث التي شهدتها والأناس الذين اتصل بهم ومن طريق تعبيره عن شعوره الصادق كما تلقاه عن تلك المصادر أما من الناحية المعنوية فالديوان ينطق بما كان يجول في خاطر الشاعر من الاحساسات الكريمة وتنطوي عليه نفسه من حب الخير والانسانية وطلب صلاح البشر والوفاء للاصحاب والثناء للظالمين والاشفاق على البائسين . كما ان شعره الوجداني ينم عليه صدق الشعور وعذوبة الروح وسمو العاطفة — ويؤيد هذا السمو في شعوره اقوال من رثوه من الشعراء والادباء مما يحده القارئ في الديوان المذكور — ومما يجدر ذكره في هذا الباب ندرة قصائد المدح في الديوان وهو يدل على بعد الشاعر عن التملق وترفعه عن الامور المادية التي تستعبد سواه . وهذه ابيات ننقلها عن الديوان لدعم ما قلناه ولتشويق القارئ الى مطالعته

قال في الترفع :

واذا ظمئت ولم تجد لك منهل
عذب المياه كصافيات الادمع
فاطو الضلوع على الصدى أو مت به
حرأ أبي النفس غير مروع
للموت خير من ورودك مورداً
ولغ الكلاب بمائه المتجمع
من كان لا يرضى الحجرة مشرباً
هيئات يغشى كورة المستنقع

وقال في معنى آخر :

ومن الشر ما يحض على الخير
وهدي أبا الضلال سبيله
ومن السم ما يعل ومنه
ماتداوى به الجسوم العليسة

وقال في المداحين :

وحب كل على مقدار حاجته
يزداد حبا اذا ازدادت مطالبه
فأت رأيت زيهاء في مودته
فقل هو الدهر قد جلت عجائبه

وقال في زجاجة الخمر :

لها على السكب في الاقتراح تهمة
كأشما ضحكات الهازيء الهذر
أتشعل الجسم ناراً وهي باردة ؟
فيا لمقرورة أوري من الشررا

وقال في البخل :

ولا تحارب أليف البخل ان له من بخله كل يوم ما يحاربه
فهو الدين وان سارت به قدم وهو الدليل وان عزت مناصبه

فريد حبيش

ترجمات من العربية الى الحبشية

بقلم مراد كامل — مقال مستخرج من مجلة الآثار القبطية — القاهرة ١٩٤١

قد سبق لنا ان نعرف الى القراء الدكتور مراد كامل مدرس اللغات السامية بكلية الآداب والمتخرج من جامعات المانيا . وذلك لما تناولنا تأليفه المختلفة في خصائص بعض اللغات السامية وبعض التراجم التي نقلت اليها او منها . وهذا المقال الاخير يستعرض الترجمات التي نقلت من العربية الى الحبشية ، وأكثرها في الناحية الدينية . فالتوراة نقلت في القرن الرابع العاشر وتلت ذلك أساطير وأخبار ورسائل وخوارق . ثم وقفت حركة الترجمة باضمحلال الدولة الحبشية ، ونهضت لغة دارجة هي لغة الأمهرية . وبقيت الحال هكذا حتى سنة ١٩١٤ إذ كلفت الحكومة الحبشية اربعة مصريين ان ينقلوا كتباً تعليمية من العربية الى الأمهرية . ولم يطل ذلك ، لان الاحباش أخذوا في العهد الجديد يترجمون عن اللغات الاوربية مباشرة . ذلك مقال وجيز ونقيس ، رأينا ان نشير اليه لطرافة موضوعه . ولا بد أيضاً من التنويه باهتمام «مجلة الآثار القبطية» بشؤون الحبشة على ذلك النحو العلمي ، فهي بهذا تنفرد بمسعى يجمل بمصر

السينما مفخرة القرن العشرين

أصبحت السينما وسيلة من وسائل الثقافة تنشرها بين الناس في روايات تاريخية رائعة أو حوادث مؤثرة كما أصبحت صلة بين اقطار العالم تنقل حوادثه مصورة وأصبح لـ «كواكبها» بين الناس تقدير واعجاب . وعلى قدر ما تحتل هذه الصناعة من المكانة بين مخترعات القرن العشرين وعلى قدر ما تجذب اليها من معجبين فقليل ما وضع في العربية عنها . لذلك كان عملاً مشكوراً اقدام الأديب محمد عبد القادر المازني على وضع كتاب عن السينما وصف فيه تاريخها وتقدمها كما كتب عن كثيرين من «كواكبها» المشهورين والمشهورات وقد قدمه الى والده الأديب الكبير الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني بهذه الكلمة « لقد اردت بهذا الكتاب المتواضع ان أسد بعض الفراغ في المكتبة العربية بشيء من تاريخ السينما وتطورها فألمي ان ترضى عن بعض ما فيه فما يسعني وأنا في مستهل حياتي إلا ان أفوز برضائك التام وان هذا محور آمالي »

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية
خلاصة محاضراته

زيادة قنطار من القطن في غلة كل فدان من
الارض المزروعة ، وبني آرائه هذه على أبحاث
مبتكرة اجراها بنفسه

ولخص الدكتور مصطفى عامر وصف حالة
مصر من الناحية السياسية والاجتماعية في
اواخر القرن الثامن عشر ، استناداً الى ما ذكره
الرحالة الفرنسي « فولني » من حقائق طريفة
ووقف استاذان من اساتذة كلية العلوم
محاضرتيهما على موضوعين من موضوعات
التاريخ الطبيعي . فكان موضوع الأستاذ
يونس سالم ثابت « التكافل في النبات واثره
في الزراعة » وقد بين الفرق بين التكافل
والتطفل ، فالتطفل فيه كل الغرم على احد
الشريكين وكل الغنم على الشريك الآخر . وأما
التكافل ففيه منفعة متبادلة للشريكين وضرب
على ذلك امثلة كثيرة ووضحها بالصور .
وكانت المحاضرة الأخيرة من محاضرات
المؤتمر للدكتور محمد والي استاذ الحيوان
بكلية العلوم وقد عالج فيها « العوامل الفعالة
في سلوك السمك » وكيف يتفاوت وفقاً
لأحوال البيئة والتشريح وكيف يبدو في اشكال
السمك وطبائعه ووضعها بصور يديعة

عقد المجمع المصري للثقافة العلمية مؤتمره
السنوي الثالث عشر في الأسبوع الثاني من
شهر مايو ١٩٤٢ ، وكان برئاسة الدكتور
علي مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم
وقد القيت فيه ست محاضرات في
موضوعات علمية شتى ، نظرية وعملية . فبين
الدكتور مشرفة القواعد التي يقوم عليها تنظيم
البحث العلمي في بلدان الغرب سواء في ذلك
البحث العلمي البحت أو البحث التطبيقي
وعرض مقترحاته العملية لتطبيق هذا التنظيم
في مصر . وكانت محاضرة الدكتور سليم حسن
في موضوع يمت الى تاريخ مصر القديمة بصلة
وثيقة اذ بين ، استناداً الى وثيقة جديدة لم
تشر قبلاً ، أسماء البلدان القديمة الباقية الى
الآن في مصر وما في اسمائها من أثر للتسمية
التي كانت شائعة في العصر القديم

والتي للدكتور محمد عزيز فكري محاضرة
موضوعها « طبيعة الاثمار في القطن » وهو
بحث علمي عملي يتصل بثروة مصر الاقتصادية
فين طبيعة تساقط أزهار القطن وأثماره ، وقال
أنه اذا كان في الوسع الاحتفاظ بزهرة واحدة
علاوة على ما يحتفظ به عامة كان معنى ذلك

السلفاتيازول والتهاب البريطون

الزائدة الملتهبة . وفي اليوم العاشر من اصابته ثقب البطن بآرة طويلة تشبه آرة الحقن تحت الجلد واستخرج من المعدة نحو نصف كوب من الصديد ثم حقن في البطن عقار السلفاتيازول . وبعد انقضاء يومين حقن السلفاتيازول في البطن مرة ثانية . وفي الوقت نفسه حقن المصاب بالسلفاتيازول في اورده . وعولج علاجاً آخر

وبعد انقضاء يومين على حقنة السلفاتيازول الثانية في البطن هبطت حرارة الصبي الى المعدل السوي . وتحسنت حالته العامة . ولم تنقض ثلاثة أسابيع أخرى حتى شفي وعاد الى داره . وبعد انقضاء شهرين على ذلك التهب زائدته الدودية ثانية ، فاستؤصلت . والرأي ان حقن السلفاتيازول في البطن لا تقتصر فائدته على التهاب البريطون الناشئ عن التهاب الزائدة الدودية بل يشمل كذلك التهابه الناشئ عن جراثيم النومونيا والجونوريا

نشرت مجلة « سينس » نقلاً عن مجلة الجمعية الطبية الاميركية نبأ طريقة جديدة امسر فيها استعمال السلفاتيازول — احد مشتقات السلفانيلاميد — عن انقاذ مرضى مصابين بالتهاب البريطون Peritonitis إصابة خطيرة . والطريقة هي حقن العقار في تجويف البطن . وهذا مخالف لما جرى عليه الاطباء وهو استعمال هذا العقار في البطن عند شقه لاجراء عملية جراحية . اما الاطباء الاميركيون الذين وصفت المجلتان طريقتهما فيحقنون العقار في البطن بغير شقه

والى القارىء وصفاً موجزاً لاجدى هذه الحالات التي استعمل فيها العقار على الوجه سابق الذكر . كان المصاب صبيًا زنجيًّا عمره سنتان ونصف سنة . وكان مصاباً بالتهاب حاد في الزائدة الدودية وبالتهاب البريطون العام . فبعد فحصه قرّر الأطباء ان حالته لا تسمح باجراء عملية لاستئصال

البيض المجفف

من البيض المجفف ما لا يزيد على مليوني رطل في السنة ، وانه من المنتظر ان يبلغ ما تصنعه منه في خلال سنة ١٩٤٢ مائة وخمسين مليوناً من الارطال أدركنا مدى التقدم في هذه الصناعة . والتجفيف غرضه توفير المكان في السفن

ينتظر أن يبلغ وزن البيض المجفف المرسل هذه السنة من الولايات المتحدة الى بريطانيا بحكم قانون الاعارة والتأجير ، مائة مليون رطل ، قبل اول يوليو ١٩٤٢ . فاذا تذكرنا ان الولايات المتحدة الأميركية كانت تصنع

تعريف بالفيكنت فيليب دي طرازي

العلمي وان وصلت تلك النفائس أوروبا لكان لها شأنها هنالك » . أما الدكتور بشر فلم يشاهد تلك الذخائر في دار الفيكنت بيروت وذلك ان كتبه انتقلت الى دار الكتب التي أنشأها وان الألفاظ والآثار من أسلحة ونقود ومن قطع خزف وزجاج وعاج ومن طنافس نادرة ومن مخطوطات نفيسة ، مثل « قاموس » الفيروزابادي المزوق بالالوان قد نقلها الى دير في لبنان او وهبها . وللفيكنت ألقاب علمية كثيرة وأوسمة ، من ذلك انه من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والجمعية الجغرافية بباريس ، والمجمع العلمي للفنون والآداب بباريس ، والجمعية العلمية الاسلامية ببرلين . وهو يحمل من الأوسمة العثماني والفارسي والتونسي والبناني والبابوي والفرنسي . وأما سعيه القومي ففي مقال عدد مايو تنويه بأيديه في أثناء الحرب الكبرى ، ونضيف الى ذلك انه ظل مُدداً غير قصيرة ركناً لجمعيات خيرية شتى في بيروت مثل (المساعي الخيرية السريانية) . ومما عمله فوق هذا انه انضم الى اللجنة التي سعت في اغاثة المنكوبين في حوادث جبل عامل سنة ١٩٢٠ ، وانه تجرد لمساعدة المريان الذين طردتهم الدولة التركية سنة ١٩٢١ فلجأوا الى بيروت . ومن علو شأنه انه ظفر بالثقة حتى عين مفتشاً عاماً في (دوائر الاعاشة)

كتب الينا بعض القراء يستفسر عن اصل الفيكنت فيليب دي طرازي وعن سعيه القومي ، بعد الذي كتبه الدكتور بشر فارس في عدد مايو تحت عنوان « التنبيه الى كتاب فريد جامع » فنقول :

هم بنو طرازي من أسرة عريقة في الوجهة جَلُّوا عن « آثور » وطنهم الاول في مفتتح المائة السادسة عشرة ، وقصدوا الى حلب فاستوطنوها . وفي صدر المائة التاسعة عشرة قدم الطون طرازي (جدّ الفيكنت فيليب) مدينة بيروت وانشأ فيها داراً للتجارة . وانتشر اعقابُه في البلدان العربية وفرنسة وشمالي امريكة وجنوبها ، وحرفهم مختلفة . اما الفيكنت فولد في بيروت في ٢٨ مايو ١٨٦٥ ، وبعد التحصيل في المدرسة البطريركية وكلية الآباء اليسوعيين اشتغل بالتجارة مع أبيه نصر الله الملقب بالكنت . ثم انصرف الى الدرس والجمع والتأليف

وقد قال فيه المستشرق الالماني الكبير رتن هرتْمَن في الكتاب الذي ألفه في رحلته الى سورية ولبنان سنة ١٩١٣ ما مؤداه : « وهو غاية في اللطف ، أُنيس ، نابغة ، واسع المعرفة بكل من تطرقنا الى ذكره وبكل ما أفضنا فيه . وشاهدت في خزائنه ذخائر علمية جمعها بسعيه المتصل . وهي تدل على همة اللبناني اذا شاء أمراً وعلى فطنة الفيكنت ومقامه

بيروت سنة ١٩١٨ لتوزيع الاقوات والملابس والادوية على البائسين، وحتى مثل جمهور الاقليات من سكان لبنان في مجلس المستشارين الذي أنشئ سنة ١٩٢٠ في عهد

الطيران حول الارض

الف ميل . وهذا يمكنها من الطيران حول الأرض على محاذة احد خطوط العرض العليا لا على محاذة خط الاستواء . ورحلة من هذا القبيل تستغرق من ثمانين ساعة الى تسعين ساعة . ولا بد أن تكون الطائرة مما يستطيع الطيران في الطبقة الطخورية السفلى حيث تكون أقل تعرضاً لفعل الرياح منها على ارتفاع يسير فوق سطح الأرض . والغالب ان سرعتها وهي طائرة في هذه الطبقة تكون ٢٥٠ ميلاً في الساعة على المعدل

وجهه الى الطيار الروسي ميخائيل جروموف وهو الذي طار قبل سنوات من موسكو الى ولاية كاليفورنيا ماراً فوق القطب الشمالي بغير توقف ، السؤال التالي : هل في الوسع صنع طائرة تطير حول الأرض بغير ان تقف للتموّن بالوقود . واذا كان ذلك ممكناً فما المدة التي يستغرقها هذا الطيران ، وما اوصاف الطائرة التي تستطيع ذلك

فأجاب : في الوسع صنع طائرة تستطيع ان تقطع من اثني عشر الف ميل الى خمسة عشر

علاج كيميائي لحفظ القمح المخزون

فوق بعض والورق المشمع والورق المقوى وقد جربت هذه المادة تجارب واسعة النطاق بالقمح المخزون فأسفرت عن نتائج تبعث على الرضا . فقد ذرّت مثلاً على سطح مخزن مملوء قمحاً وعلو القمح المكسد فيه ستون قدماً فاخترقت انجرتها القمح المكسد الى أسفل المخزن وفتكت بالحشرات اينما كانت ولم تسفر التجارب حتى الآن عما يدل على تأثر مواد الطعام بهذه الانجزة تأثراً يؤدي آكلها

صنع في قسم الكيمياء بجامعة همشير الجديدة في الولايات المتحدة ، علاج كيميائي يقي القمح المخزون فعل الحشرات . وقوام هذا العلاج مادة كيميائية تدعى «اثيريد» وهو الاسم التجاري لمركب نيترواينين المعالج بالكورين . هذه المادة سائل جاف ذو رائحة ولكنها ليست كريهة . وهو يتبخّر فتفتك انجرته بالحشرات التي في القمح والدقيق والمنسوجات والفراء بغير ان تؤذي الناس . والانجزة تخترق القطن المكبوس والمنسوجات المصروفة بعضها

زيادة محصول القطن

بمعالجة تقاويه (بزوره)

من بزور لم تعالج به . وكانت التجربة خاضعة لأسباب الدقة العلمية . ثم ثبت أنه اذا ذر دقيق الصويا مخلوطاً بواحد في المائة من الحامض الليثولييك في خلال فترة الازهار ساعد ذلك على منع سقوط اللوز

وقد عولجت زراعة القطن في فدان (ايكر) هذه المعالجة ، فكان محصولها ٨٣٨ رطلاً بينما تركت الزراعة في اخري بغير معالجة فلم يزد محصولها على ٤٨٥ رطلاً وقد بذل المحربون غاية الجهد لجعل الزراعتين متساويتين من كل ناحية عدا معالجة البزور بالحامض الليثولييك والازهار بمزيج منه ومن دقيق الصويا . وتبلغ نفقة معالجة القطن في فدان واحد ثلاثة دولارات او نحو سبعين قرشاً

تدل المباحث الزراعية في الولايات المتحدة ، على أنه في وسع الزراع زيادة محاصيلهم بمعالجة البزور قبل بذرها برشها بأتوار (هرمونات) نباتية . وقد أجرى الاستاذ ايرلند بكليسة او كلا هو ما تجارب واسعة النطاق اثبتت ان خير المواد لمعالجة البزور هي مادة تعرف باسم « الحامض الليثولييك » Levulinic وهو حامض يسهل تركيبه من النفايات بنفقة يسيرة . وأهم ما يستعمل فيه الآن هو صنع العجائن الكيميائية plastics وقد اسفرت تجربة هذا الحامض في القطن عن نتائج تبعث على الاستغراب فالحصول في النبات الناشئ من بزور عولجت به زاد ٥٠ في المائة على محصول القطن الناشئ

غور مندناو

الاغوار في محيطات الارض جميعاً على ما يعلم حتى الآن اذ يبلغ عمقه ستة اميال ونصف ميل

تعرف احدى جزائر ارجيل فيليبين باسم مندناو . والى غربها غور في المحيط هو أعمق

المرأة أم للرجل مهنة التعليم

فنسبة النساء ضئيلة جداً ، وقد رضي الرجال بهذا الغبن ، ورضي رجال التربية ضمناً بأن مهنة التعليم نسوية . غير أن الكثيرين منهم أخذوا يشكون من أن الكتب هناك يشيرون الى كلمة « معلم » بضمير الأنثى ، ويطلب الكثيرون الآن بالانصاف واستعمال ضمير الذكور [مجلة التربية الحديثة]

المرأة في أميركا تحتكر مهنة التعليم في المدارس الابتدائية ، وتكاد تحتكرها في المدرس الثانوية ، ولا تخلو منها الكليات والجامعات . ففي مرحلة التعليم الابتدائي أكثر من ٩٠ ٪ من القائمين بشئونه من النساء وفي مرحلة التعليم الثانوي ٦٠ ٪ من هؤلاء من النساء أما في التعليم الجامعي

فهرس الجزء الاول

من المجلد الواحد بعد المائة

- ١ اوربا بين عهدين — موازنة تاريخية
- ٨ تنظيم البحث العلمي وأثره في تطور المجتمع : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
- ١٦ قطرات ندى : لراحي الراعي
- ١٧ العلم والادب والاساطير في كتب السلف : للامير مصطفى الشهابي
- ٢٧ الغاز الحربي صفاته وخواصه واستعماله
- ٣٤ الهيكسوس عاصمة ملكهم ومدة حكمهم : للدكتور باهور لبيب
- ٣٩ سمك الأغوار غرائب أشكاله وطبائعه
- ٤١ يوم في خزانة عيسى اسكندر المعلوف : بقلم الدكتور بشر فارس
- ٤٧ اسماء مصر : لناشد سيفين
- ٥١ في محراب الفكر (قصيدة) : لحسين محمود البشبيشي
- ٥٤ الاعلام في كتاب الامتاع : للاب انستاس ماري الكرملي
- ٦٠ دراسة اللغة العربية الفصحى في مدارسنا المصرية : لعبد الله امين
- ٦٦ زيلندا الجديدة
- ٧١ تأثير الغذاء في الطبايع : للدكتور عبده رزق
- ٧٣ حديقة المقتطف * مدرسة تاجور : لمحمود المنجوري
- ٨٣ باب المراسلة والمناظرة * اللسان العلمي واللسان النباتي : لمحمود مصطفى الدمياطي .
- حول كتاب ظواهر حجرة تحضير الارواح : لاجمده فهمي ابو الخير
- ٩٥ مكتبة المقتطف * عبقرية محمد . فيض الحاطر . خارطة في سماء مصر . زميل التوجيهي . امتاع الاسماع . قصص علماء الطبيعة . الرجال منافقون وقصص اخرى . أغاريد ربيع . ترجمات من العربية الى الحبشية . السينما مفخرة القرن العشرين
- ١٠٣ باب الاخبار العلمية * مؤتمر الجمع المصري للثقافة العلمية . السلفاتيازول . التهاب البريطون . البيض المجفف . تعريف بالفيكننت فيليب دي طرازي . الطيران حول الارض . علاج كيميائي لحفظ الفمخ الخزون . زيادة محصول الفطن بمعالجة تقاويه (بزوره) . غور مدناو . الأرجل ام للمرأة مهنة التعليم .